
شارل بودلير
سأم باريس
قصائد نثرية قصيرة
ترجمة: محمد أحمد حمد
مراجعة: كاميليا صبحي
365

المشروع القومى للترجمة

شارل بودلير

سأم باريس

قصائد نثرية قصيرة

ترجمة : محمد أحمد حمد

مراجعة : كاميليا صبحى



٢٠٠٢

المشروع القومي للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٣٦٥
- سأم باريس (قصائد نثرية قصيرة)
- شارل بودلير
- محمد أحمد حمد - كاميليا صبحي
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة كاملة لكتاب
Le Spleen de Paris
(Petits Poémes en Prose)
Librairie Générale : الصادر عن
Française , 1972

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel : 7352396 **Fax** : 7358084 **E. Mail** : asfour @ onebox. com

---

مقدمة المترجم

كان ستيفان مالارميه فى نحو العشرين عام ١٨٦١ حين اكتشف "أزهار الشر " لبودلير بحماسة كبيرة ، وكنت فى العشرين حين اكتشفت الديوان نفسه بترجمة محمد أمين حسونة وفرحت به كثيرا ، ثم سافر مالارميه إلى إنجلترا لدراسة الأدب الإنجليزى ، ودخلت إلى قسم اللغة الإنجليزية بآداب القاهرة لدراسة الأدب الإنجليزى ، موقفان متشابهان أولهما فى باريس وثانيهما فى القاهرة ، يفصل بينهما مائة عام ، ووجدت بودلير يقول إن كل إنسان يحب من يشبهه ، وكانت عناصر الشبه بيننا كثيرة فتولد بيننا الحب منذ ذلك الحين .

ثم غرقت فى دراسة الأدب الإنجليزى من تشوسر حتى فيليب لاركين وشيموس هينى ، ولكن لم أنصرف عن بودلير ، فقد صار ملازما لى ، وقد اعترف عدد من شعراء الحداثة فى العالم بديْنهم له ، قال إليوت إنه قرأ كتاب آرثر سايمونز عن الرمزية الفرنسية وتوقف طويلا أمام بودلير ومالارميه وجيل لافورج ، وكذلك فعل روبن داريو أبو الحداثة الشعرية فى أمريكا اللاتينية والشاعر البرتغالى فرناندو بيسوا ، وجيل ٩٨ فى إسبانيا جيل أنطونيو ماتشادو وأونامونو ، وأيضا جيل ٢٧ لوركا ورفاييل ألبرتى ؛ فهو أبو الحداثة الشعرية فى العالم .

وهو أول من شبه الشاعر بالكيميائى ، ومن هنا جاءت « كيمياء العبارة » عند رامبو وهو أول من اكتشف تراسل الحواس فى نظريته للعلاقات ، وأول من أدرك أن فى إمكان الشاعر أن يستخرج الجمال من

القبح حين قال مخاطبا باريس : " لقد منحتني وحلك فصنعت منه ذهبا" ، ورفض القيم الزائفة في الفن ، ورفض المادية الوضعية التى كانت تطالب الشعراء باستلهام العلم ، وأدت إلى ظهور الطبيعية التى كانت تنكر العواطف البشرية وتهتم بالغرائز ووظائف الأعضاء ، كما رفض الشعر التعليمى الأخلاقى ، وقال إن العمل الفنى الجميل فى حد ذاته سيثير فى القارئ حاسته الأخلاقية وأول من تحدث عن الحداثة Nouveaute ، وأنها التجديد الدائم وأول من تحدث عن التشظي ، ولست أريد أن أستطرد فى عرض أفكاره النقدية ؛ فقد صارت مشاعا فى نظريات النقد الحديث .

ولأنى مثله عاشق للرحيل في المسافات والوجوه والنفوس والكتب فقد شرقت وغربت ، وشهد العالم أحداثا جساما ، وحدثت تغيرات كثيرة على المستوى السياسى والاجتماعى والشخصى ، وبعد أن « أنعشت فرنسيتى » بتعبير صلاح عبد الصبور ، وصرت قادرا على لقائه فى لغته وجها لوجه عدت مرة أخرى إلى صديقى القديم وإلى تلاميذه ، فوجدته مازال " سيدا فى بيته " بتعبير الدكتور على الراعى، قادرا على الإيحاء والإلهام، وكنت أظن أن ترجمة محمد أمين حسونة لأزهار الشر هى ترجمة للديوان كله، فاكتشفت أنها ١٠٦ قصائد فقط، على حين أن النسخة الحديثة من طبعة الأعمال الكاملة التى صدرت عام ١٩٧٢ تضم ١٦٠ قصيدة، ومع التفات أجيال الشعراء العرب الجدد إلى قصيدة النثر وجدت أن ديوان «سأم باريس». وهو الديوان النثرى. لم تترجم منه إلا مختارات قليلة، فعزمت على ترجمته كاملاً.

بدأ بودلير كتابة قصائده النثرية عام ١٨٥٧ بعد أن فرغ من نشر ديوانه «أزهار الشر»؛ فقد كان يحلم بكتابة نوع شعرى جديد يَتسم بالمرونة، ويتسع لكثير من تناقضات الحياة اليومية فى المدن الكبرى، «حتى يقتنص فى شباكه الوجه النسبى الهارب للجمال»، ووجد ضالته فيما كتبه الوزيوس بيرتيران من بالادات نثيرة مستوحاة من ترجمات البالادات الأسكتدلندية والألمانية إلى الفرنسية.

ومن المعروف أن شكل البالاد الذى يشبه الموال القصصى عندنا هو الشكل الذى استوحاه وردزورث وكوليريدج فى ثورتهما على جمود الكلاسيكية فى ديوانهما الشهير Lyrical Ballads عام ١٧٩٨ وتأثير به الوزيوس بيرتيران، ولم يكن اهتمام بودلير بديوان بيرتيران المسمى «جاسبار الليل» نابعا من عدم اطلاعه على ما كتبه وردزورث وكوليريدج أو البالادات المترجمة وغير المترجمة فقد كان قارئاً نهماً، وكان يجيد الإنجليزية وتأثر بشيكسبير وتوماس دى كونيسى وبنظرية الخيال عند كوليريدج، وكان هو الذى ترجم أعمال إدجار آلان بو إلى الفرنسية حتى إنه اشتهر كمترجم قبل إصداره ديوان "أزهار الشر"، ولكن اهتمامه به كان بسبب لغته النثرية الجميلة المكثفة، ولتصويره بعض تفاصيل الحياة فى مدينته الإقليمية «ديجون»، وكذلك تصويره لباريس عام ١٨٢١؛ ففكر فى كتابة قصائد تصور باريس التى تطورت كثيرا عام ١٨٦١ وشرع فى تحقيق حلمه فى العام نفسه كما تقول سوزان برنار أو قبل ذلك كما يقول محقق هذا الديوان؛ فأنتج مجموعة من القصائد استوحى فيها روح المدينة الكبيرة «ذلك المعين الذى لا ينضب من النماذج والأحلام»، وكان من رأيه دائما أن «الحياة الباريسية» غنية بالموضوعات الشعرية

الرائعة» وأضافها إلى ديوان «أزهار الشر» فى طبعته الثانية عام ١٨٦١ تحت عنوان «لوحات باريسية» بدلا من القصائد الست التى قضت عليه المحكمة بحذفها من الطبعة الأولى.

ثم كتب قصائد أخرى، حتى إنه كتب إلى «سانت - بيف عام ١٨٦٥ يقول مشيرا إلى قصائده النثرية: أنا الآن فى القصيدة الستين»، ولكن ديوان «سأم باريس» الذى بين أيدينا لا يحتوى إلا على خمسين قصيدة؛ فقد حذف منها عشر قصائد كاملة، وذلك لحبه للإجادة ومداومته على تنقيح ما كتب، وحرر قصيدته من نظام البالاد ذى المقاطع وأعطاها أقصى درجة من الحرية وأطلق عليها هذا المصطلح المتناقص: Poem en prose قصيدة النثر، وكان يقصد هذا التناقص، وكان يكتبها فى جمل تكون فقرات، وتبعه فى ذلك رامبو ومالارميه ولم يكتبها سطورا مقطوعة يسودها الفراغ كما يكتب الشعر المرسل (مايسمى عندنا بشعر التفعلية) ولا على طريقة الشعر الحر وهو شعر غير موزون ولا مقفى كتبه «جيل لافورج»، ثم أدخل بول كلوديل عليها نظام الآيات Versetsمثل آيات الكتاب المقدس.

لم يتمكن بودلير من نشر ديوانه فى حياته، ووجد أصدقاؤه المخطوط كاملا بعد وفاته، فلم يغيروا فيه شيئًا، أما العنوان فيبدو أن بودلير كان حائرا بين هذين العنوانين: «قصائد نثرية قصيرة» و «سأم باريس»، وكان يشير إلى هذا المخطوط فى رسائله بـ «قصائد نثيرية» إلا أنه فى خطاب إلى «سانت - بيف» بتاريخ ١٥ يناير ١٨٦٦ أشار إلى هذا المخطوط نفسه بـ «سأم باريس - قصائد نثرية قصيرة» فما كان من الناشر إلا أن وضع «سأم باريس» عنوانًا رئيسيًا، و«قصائد نثرية قصيرة» عنوانًا فرعيًا.

أما عن آراء النقاد فى هذا الديوان فإنى أحيلك إلى مقدمة الناقد الذى حققه، وقد وضعتها فى نهاية الكتاب، لاتقديما لنفسى عليه، بل لأنى وجدت من الأنسب للقارئ أن يطلع عليها بعد قراءة الديوان فإن بها بعض الغموض، إذ يفترض الناقد أن القارئ قد اطلع على أزهار الشر وعلى دراسات بودلير النقدية، ومذكراته الشخصية، وقد زودت القصائد والمقدمة بالهوامش والتعليقات لتوضيح ما غمض.

على أن هذا الديوان الذى لم يتحمس له جوستاف لانسون، ولاسانت - بيف، ولاجون كوين الناقد المعاصر - قد أثر مع أزهار الشر - فى الأجيال التالية لبودلير تأثيرا عارما، وكان كل منهما فتحا فى بابه، ومنهما انطلقت المدرسة الرمزية فيما بعد، وكان رامبو الذى هاجم كل من سبقه يشير إلى بودلير بالرائى الأول وملك الشعراء ورب الأرباب!

محمد أحمد حمد

إلى أرسين هوساى *

صديقى العزيز، أرسل إليك عملا صغيرا، ليس بمقدور المرء أن يقول عنه، دون ظلم، إنه لاذنب له ولا رأس، بما أن له على العكس من هذا رأسا وذنبا فى الوقت نفسه، بالتناوب وبالتبادل، أرجوك أن تتأمل مدى روعة أسباب السعادة التى يقدمها التأليف إلى الجميع، إليك وإلىّ، وإلى القارئ؛ فنحن نستطيع أن نقطع حيث نشاء، أقطع أنا أحلامى، وأنت تقطع المخطوط، والقارئ يقطع قراءته؛ لأنى لا أعلق الإرادة العنيدة لهذا الأخير على خيط لا ينتهى فى حبكة لاطائل من ورائها. احذف فقرة من هذا الخيال المؤلم وستلتئم القطعتان دون ألم، هشمه إلى شظايا كثيرة وسترى أن كل شظية يمكنها أن توجد بمفردها، وعلى أمل أن يصبح بعض هذه القطع حيا بما يكفى لإمتاعك والترويح عنك، فإنى أجرؤ على إهداء الثعبان إليك بأكمله .

وعندى اعتراف بسيط أقدمه لك وهو أنه عند تصفحى للمرة العشرين على الأقل، لديوان «جاسبار الليل» الشهير لألوزيوس بيرتيران (وهو كتاب معروف لك ولى، ولبعض أصدقائنا، أليس له كل الحق فى أن يسمى شهيراً؟) جاءتنى فكرة أن أقوم بتجربة شىء مشابه، وأن أطبق على وصف *الحياة الحديثة*، أو بالأحرى حياة حديثة أكثر تجريدا، النهج الذى طبقه فى تصويره للحياة القديمة المليئة بالصور على نحو غير مألوف .

* رئيس تحرير صحيفة لابريس التى نشرت القصائد العشرين الأولى من هذا الديوان التى أرسلها بودلير إليه مرفقة مع هذا الخطاب.

من منا لم يحلم فى أيام طموحه بمعجزة نثر شعرى موسيقى بلا إيقاع وبلا قافية، أكثر مرونة وأشد تفاوتا فى اللفظ ليتلاءم مع الحركات الغنائية للروح، وتموجات الأحلام وقفزات الوعى ؟

فمن معايشة المدن الكبرى خصوصًا، ومن تشابك علاقاتها التى لا تحصى ولد هذا المثال المؤرق، وأنت نفسك يا صديقى، ألم تحاول أن تترجم الصرخة الحادة لصانع الزجاج فى أغنية، وأن تعبِّر فى نثر غنائى عن كل الإيحاءات المحزنة التى ترسلها هذه الصرخة إلى حجرة السقف عبر الضباب بالغ الارتفاع فى الشارع؟

ولكن، لأقول الحق، إنى أخشى ألا تكون غيرتى قد حملت لى حسن الحظ؛ فما إن بدأت العمل حتى أدركت أننى لم أبق فقط بعيداً تماماً عن نموذجى الغامض الباهر، لكننى أدركت أيضا أنى صنعت شيئا ما (إذا كان يمكن تسميته شيئا ما) مختلفا على نحو فريد وهى صدفة كفيلة بجعل الآخرين جميعاً - إلا أنا - يشعرون بالفخر دون ريب، ولكنها لن تستطيع إلا أن تحط بعمق من شأن روح ترى أن أعظم شرف للشاعر هو أن ينجز بصورة صحيحة ما خطط لتحقيقه.

صديقك المخلص

شارل بودلير

الغريـــب

L'eteranger

– من تحت أكثـر، قل أيهـا الرجل الغـر؟ أبوك أم أمك؟ أخـتك أم أخوك؟

– ليس لى أب ولا أم ولا أخت ولا أخ

– أصدقاؤك ؟

– إنك تستخدم هنا كلمة ظلت لا أدرك معناها حتى اليوم

– وطنك ؟

– إنى لا أعرف تحت أى خط عرض يقع

– الجمال ؟

– لا مانع لدىّ من حبِّه إلها وخالدا

– الذهب ؟

– إنى لأبغضه كما تبغض أنت الله

– إيه ! ماذا تحب إذن أيها الغريب الشاذ ؟

– إنى أحب السحب .. السحب التى تمر هناك

هناك .. السحب الرائعة !

يأس العجوز

Le Desespoir De La Vieille

شعرت العجوز القصيرة المجعدة الوجه بفرح غامر لرؤية هذا الطفل الجميل الذى كان يحتفى به كل إنسان، والذى كان العالم كله يرغب فى إرضائه، هذا الكائن الفاتن، شديد الهشاشة مثلها، العجوز القصيرة، ومثلها أيضاً كان بلا أسنان ولا شعر .

واقتربت منه راغبة فى تقديم ابتساماتها ووجهها البشوش، ولكن الطفل الخائف جفل من مداعبات المرأة الطيبة الهرمة، وملأ البيت بصرخاته .

وحينذاك، تراجعت المرأة الطيبة إلى عزلتها الأبدية، وراحت تبكى فى أحد الأركان قائلة لنفسها:

– "وا أسفاه لنا نحن النسوة المسنات التعسات، لقد ولى زمن الإعجاب بنا حتى من الأبرياء، وصرنا نلقى بالرعب فى قلوب الصغار الذين تدفعنا الرغبة إلى حبهم "

اعتراف الفنان

La Confiteor De L'artiste

كم هى لاذعة أواخر أيام الخريف ! آه .. لاذعة حتى الألم ! لأن هناك من الأحاسيس اللذيذة مالا يخفف غموضها من حدتها . وليس هناك نصل أحد من نصل اللامتناهى .

متعة فائقة هى متعة إغراق البصر فى لانهائية السماء والبحر ! فالعزلة والصمت ونقاء اللازورد الذى لا يقارن ، وشراع يرتجف فى الأفق هو بصغره وعزلته يشبه وجودى الذى لا شفاء له ، وصخب الموج بلحنه الرتيب ، كل هذه الأشياء تفكر من خلالى أو أفكر من خلالها (لأن فى عظمة أحلام اليقظة سرعان ما تفقد الأنا ذاتها) أقول لنفسى إنها تفكر ولكن بموسيقية وبهاء ، دون جدل شكلى دون استنتاج .

غير أن هذه الأفكار سواء خرجت منى أو انطلقت من الأشياء فإنها تصير بعد قليل شديدة القوة . إن طاقة الشهوة تخلق ضيقا ، ومعاناة أكيدة . فلم تعد أعضائى الشديدة التوتر تعطى إلا ذبذبات صارخة ومؤلمة .

والآن ، يذهلنى عمق السماء ، ويملأنى صفاؤها بالسخط ، ويثيرنى انعدام حساسية البحر ، وجمود المشهد ، آه ! .. أيتحتم علىَّ أن أقاسى إلى الأبد أو أهرب أبدا من الجميل ؟

أيتها الطبيعة الساحرة دون شفقة ، أيتها الغريمة الدائمة الانتصار ، دعينى ! .. توقفى عن إغواء رغباتى وزهوى ! .. إن دراسة الجميل مبارزة يصرخ فيها الفنان رعباً قبل هزيمته !

متكلف الظرف

Un Plaisant

كان هذا انفجار السنة الجديدة : خليط من الوحل والثلج ، عبور آلاف العربات متألقة باللعب والحلوى ، غاصة بالجشع واليأس ، هذيان رسمى فى مدينة كبرى ، قصد به تعكير صفو أعتى المحبين للعزلة .

وفى وسط هذا الهرج والمرج ، وهذه الضجة ، كان حمار يخبُّ فى حيوية ، وقد أرهقه إنسان غليظ مسلح بالسوط .

وبينما كان الحمار يهم بالدوران حول ناصية أحد الأرصفة ، تقدم سيد وسيم ، يرتدى قفازا ، ومظهره براق ، وقد أحكم رباط عنقه ، ومسجون داخل ملابس جديدة تماما ، وانحنى على نحو متكلف أمام البهيمه المتواضعة ، وقال لها وهو يرفع قبعته :

- « أتمنى لك عاما طيبا وسعيدا ».

ثم استدار مختالاً إلى رفيق ما من رفاقه ، كأنما ليرجوهم أن يضيفوا استحسانهم إلى رضائه .

لم يلتفت الحمار إلى هذا الوسيم المتظرف واستمر يجرى فى حماس إلى حيث يدعوه واجبه .

أما بالنسبة لى ، فقد أخذنى فجأة غضب لاحد له من هذا الأحمق الفخيم الذى بدا لى أنه يركز فى شخصه كل روح فرنسا .

الغرفة المزدوجة

La Chambre Double

غرفة تشبه حلم اليقظة ، هى فى الحق غرفة روحية حيث الهواء راكد ومصبوغ على نحو خفيف بالوردى والأزرق .

تأخذ فيها الروح حمّاما من الكسل معطراً بالأسف والرغبة . إنه شىء خفىّ ضارب أى الزرقة وإلى الوردية ، حلم الشهوة أثناء الأفول .

للأثاث فيها أشكال مستطيلة ، هشة خاملة ، للأثاث مظهر الحالم كأنما وهبت له حياة السير أثناء النوم كالنبات والمعدن ؛ فالنسيج يتحدث لغة صامتة كالأزهار ، كالسماوات ، كالشموس الغاربة وليس على الجدران فن كريه ، وقياسا بالحلم النقى والانطباع الذى لا يحلل ، يصبح الفن المحدود ، الفن الوضعى[1] تجديفا . أما هنا فكل شىء يغمره الضوء الكافى والغموض اللذيذ للتناسق .

وتسبح أضغاث عبير ، تم اختياره على نحو رائع ، ممتزجا برطوبة خفيفة تماما ، مع ذلك الجو ، حيث الروح نعسانة تدغدغها أحاسيس حضن دافئ .

ويمطر الحرير الموصلى بغزارة أمام النوافذ وأمام السرير ، إنه يصب شلالات ثلجية ؛ فعلى هذا السرير ترقد المعبودة ملكة الأحلام ، ولكن كيف جاءت إلى هنا ؟ من أحضرها ؟ أى سطوة سحرية نصبتها على هذا العرش ، عرش الأحلام والشهوة ؟ ماذا يهم ؟ إنها هنا .. وإنى لأعرفها .

(١) كان بودلير يرفض المادية الوضعية .

هاتان هما العينان اللتان يخترق لهبهما الغسق ، وتلك هى المفاتن المراوغة المفزعة التى عرفتها فى مكرها المرعب ! إنها تجذب ، إنها تستعبد ، إنها تخطف بصر الكائن الذى يتأملها . لقد خبرتها مرارا ، تلك النجوم السوداء التى تثير الفضول والإعجاب .

أى شيطانة عطوف أدين لها بما يحيطنى هكذا من الغموض والصمت والسلام والعطر ؟ أيتها الغبطة ! ذلك أن ما ندعوه بالحياة عموما حتى مع اتساع سعادته القصوى لاعلاقة له بهذه الحياة السامية التى أعرفها الآن ، والتى أتذوقها دقيقة بدقيقة ، وثانية بثانية .

لا ، لم تعد هناك دقائق ، ولم تعد هناك ثوان ، لقد اختفى الزمن . إنها الأبدية التى تسود ، أبدية الملذات !

ولكن طرقا مفزعا ثقيلا دوى على الباب ، وكما فى الأحلام الجهنمية ، خيل إلى أنى تلقيت طعنة معول فى معدتى .

ثم دخل شبح ، إنه المُحضِر الذى جاء يعذبنى باسم القانون ، أو محظية سيئة السمعة جاءت تشكو بؤسها وتضيف تفاهات حياتها إلى آلامى ، أو لعله المندوب الوثاب لأحد مديرى الصحف جاء يطالب ببقية المخطوط .

فالغرفة الفردوسية ، والمعبودة ملكة الأحلام ، السلفيد[1] كما قال رينيه العظيم ، كل هذا السحر قد اختفى بطريقة حمقاء من طرقات الشبح .

(١) هى أنثى الجن فى الأساطير السلتية ، وهى فاتنة رشيقة لعوب .

يالفظاعة ! إنى لأذكر ! إنى لأذكر ! نعم ! هذا الكوخ ، هذه الإقامة للضجر الأبدى هى إقامتى . وها هو الأثاث الأحمق معفر مكسور الزوايا ، وهذه المدفأة بلا لهب ولا فحم ، ملوثة بالبصاق ، والنوافذ الكئيبة حيث المطر قد رسم أشكالا لأخاديد فى الغبار ، والمخطوطات مشطوبة ، أو غير كاملة ، والتقويم حيث خط قلم الرصاص علامات تحدد المواعيد المشئومة !

وذلك العطر الذى يأتى من عالم آخر والذى كان يسكرنى بحساسية فائقة ، ياللأسف ، قد استحال إلى رائحة تبغ كريهة مختلطة بشىء عفن مثير للغثيان حيث يتنفس المرء الآن بشاعة الأسى ، فى هذا العالم الضيق الملىء مع ذلك بالاشمئزاز ، شىء واحد معروف تبسم لى ، قارورة دواء الأفيون ، صديقة عجوز مرعبة ككل الصديقات ، ياللحسرة ، غنية بمداعباتها وغنية بخياناتها !

آه .. نعم ! لقد عاود الزمن الظهور ، وهو يحكم سيطرته الآن ، فقد استأنف مع العجوز القبيحة موكبه الشيطانى ، موكب الذكريات ، والحسرات والتشنجات والمخاوف ، والقلق ، والكوابيس ، والغضب ، والعصاب ! إنى أؤكد لك أن الثوانى الآن صار لها حضور قوى ، تقول كل منها وهى تنبثق من ساعة الحائط : « إننى الحياة التى لاتطاق ، الحياة التى لاترحم! »

وليس فى الحياة الإنسانية إلا ثانية واحدة لها مهمة الإعلان عن خبر سعيد ، ذلك الخبر السعيد الذى يسبب لكل إنسان من الخوف مالا يمكن سبر أغواره .

نعم ! إن الزمن يحكم ، لقد استعاد طغيانه الفظ إنه يدفعنى كما لو كنت ثورا ، بمهمازه المزدوج - « فارفع خوارك إذن أيها العنيد ! واعرق إذن أيها العبد ! وعش إذن ملعونا ! »

لكلٍّ وحشه الخرافى

Chucun Sa Chimere

تحت سماء رمادية فسيحة ، فى سهل فسيح مغبر ، دون طرق ، دون عشب ، دون نباتات شوكية قابلت رجالا كثيرين يسيرون فى انحناء .

يحمل كل منهم على ظهره وحشا خرافيا هائلا ، ثقيلا كأنه كيس من دقيق أو فحم أو عدة جندى مشاة رومانى .

ولكن البهيمة الوحشية لم تكن ثقلا خامدا ، على العكس كانت تحتوى الرجل منهم وتخضعه بعضلاتها المرنة القوية ، كانت تقبض على صدر مطيتها بمخلبيها الغليظين ، وكان رأسها الأسطورى يعلو جبهة الرجل كواحدة من تلك الخوذات الرهيبة التى كان المحاربون القدماء يتعشمون أن يضيفوا بها رعبا إلى رعب عدوهم .

سألت واحدا من هؤلاء الرجال طالبا منه أن يخبرنى أين يذهبون هكذا ، فأجابنى أنه لايعرف شيئًا ، لا هو ولا الآخرون ، ولكن من الواضح أنهم كانوا ذاهبين إلى جهة ما ، حيث كانوا مدفوعين بحاجة لاتقاوم إلى المسير .

والشىء الجدير بالملاحظة ، أن أحداً من هؤلاء المسافرين لم يكن يبدو عليه الضيق من تلك البهيمة المتوحشة المعلقة برقبته والملتصقة بظهره ، كما لو كانت جزءا من جسده ، ولم تكن هذه الوجوه المتعبة والجادة تفصح عن شىء من يأس تحت قبة السماء المضجرة ، كانوا يسيرون فى طريقهم بسحنة مستسلمة ، سحنة أولئك الذين حكم عليهم بالأمل دائما .

مر الموكب بجانبى وغاب فى جو الأفق حيث يغيب سطح الكوكب المستدير عن فضول نظر الإنسان ، ولبضع لحظات حاولت جاهداً أن أفهم هذا اللغز ، ولكن ما لبث عدم الاكتراث أن غلبنى بسطوته التى لاتُقاوم ، وأثقل كاهلى أكثر من وحوشهم الساحقة التى ينوءون بحملها !

المجنون وڤينوس

Le Fou Et La Venus

كم هو فاتن هذا الصباح ! فالبستان الواسع مستغرق فى نشوته تحت عين الشمس المشتعلة كالصبا تحت سطوة الحب .

إن النشوة الكونية للأشياء لاتعبر عن نفسها بأى ضجيج ؛ فالمياه نفسها وكأنها نائمة ، وعلى خلاف أعياد البشر فإن هذا العيد عرس صامت .

وكان ضوء متزايد يضفى على الأشياء أروع البريق ، والأزهار المستثارة تشتعل بالرغبة فى منافسة لازورد السماء بنصاعة ألوانها ، والحرارة التى جعلت العطور مرئية ، جعلتها تصعد إلى النجوم كالأدخنة .

غير أنى فى غمرة هذا الفرح الكونى لمحت كائنا محزونا ، فتحت أقدام تمثال هائل لڤينوس ، كان واحد من أولئك المجانين المصطنعين ، واحد من أولئك المهرجين المتطوعين الذين يأخذون على عاتقهم إضحاك الملوك حين يستحوذ عليهم الندم أو السأم ، يتزيا بزىٍّ غريب ، لامع ومثير للسخرية ، ويغطى رأسه بقرون ، وأجراس صغيرة ، قد تكوم تحت قاعدة التمثال ، ورفع عينيه المليئتين بالدموع إلى الإلهة الخالدة .

كانت عيناه تقولان : « إنى آخر البشر وأكثرهم عزلة ، وقد حرمت من الحب ومن الصداقة ، وصرت لهذا أشد حقارة من أكثر الحيوانات

نقصا ، إلا أنى خلقت أنا أيضا لتفهم الجمال الخالد والإحساس به ، فكونى ، أيتها الإلهة ، رحيمة بحزنى وألمى ! »

ولكن ڤينوس التى لاتعرف الرحمة ، تنظر بعيداً إلى حيث لا أدرى ، بعينيها الرخاميتين !

الكلب والقارورة

Le Chien Et Le Flacon

- « يا كلبى الجميل ، يا كلبى الطيب ، يا عزيزى المدلل ، اقترب وتعال لتستنشق عطراً فاغما اشتريته من أعظم بائع للعطور فى المدينة » .

أخذ الكلب يحرك ذنبه ، فيما يعد على ما أعتقد علامة عند هذه المخلوقات المسكينة تعادل الضحك والابتسام ، واقترب واضعا أنفه الرطب فى فضول على القارورة التى رفعت عنها سدادتها ، ثم تراجع فجأة فى فزع ، وأخذ ينبح فى وجهى مؤنبا .

- «آه .. أيها الكلب البائس ، لو أنى قدمت إليك كمية من النفايات لتشممتها فى لذة وربما التهمتها »

وهكذا ، أيها الرفيق غير الجديد بحياتى الحزينة ، تشبه أنت نفسك الجمهور الذى ينبغى ألا نقدم إليه على الإطلاق العطور الرقيقة التى ينفر منها ، ولكن علينا بتقديم القانورات المنتقاة بعناية !

البائع السيئ للزجاج

Le Mauvais vitrier

ثمة طبائع تجيد التأمل، ولكنها لا تصلح للعمل على الإطلاق وتحت تأثير دافع غامض غير معروف تتصرف أحيانا باندفاع لم تكن تعتقد هى نفسها أنها قادرة على.

كذلك الذى يخشى أن يجد خبرا غير سار عند حارس عمارته، فيظل ساعة يدور فى جبن أمام الباب دون أن يجرؤ على الدخول ، وكمن يحتفظ بخطاب لمدة خمسة عشر يوما دون أن يفضه، أو من لم يذعن، إلا بعد انقضاء ستة أشهر، للقيام بمسعى كان ضروريا منذ سنة مضت، فيشعر على نحو مفاجئ أحيانا بأنه مدفوع إلى العمل بقوة لاتقاوم كسهم القوس، حتى إن عالم الأخلاق والطبيب اللذين يتظاهران بالمعرفة الشاملة ليس بمقدورهما أن يفسرا من أين تأتى هذه الطاقة الجنونية، على حين غرة، إلى هذه النفوس الخاملة والشهوانية، وكيف وهم عاجزون عن أداء أشياء أكثر بساطة وأكثر ضرورية يجدون، فى لحظات معينة، شجاعة فائقة للقيام بأشد الأفعال عبثية وأكثرها خطورة فى أغلب الأحوال .

لقد أقدم أحد أصدقائى، وهو أكثر الناس أحلاما ووداعة منذ وجد البشر على إضرام النار، ذات مرة، فى إحدى الغابات، ليرى – على حد قوله – ما إذا كانت النار تشتعل بالقدر نفسه من السهولة التى يؤكدها المرء بصفة عامة، وفشلت التجربة عشر مرات على التوالى، ولكنها فى المرة الحادية عشرة نجحت نجاحاً مدهشاً.

وأشعل آخر سيجارا بجانب برميل من البارود، ليرى، ليعرف، ليجرب حظه، ليجبر نفسه على تقديم برهان على وجود طاقة كامنة به وكأنه لاعب، ليتعرف على مسرات القلق، للاشىء إلا لنزوة، أو لأنه لايجد ما يفعله .

هذا نوع من الطاقة التى تنبثق من الضجر ومن أحلام اليقظة، ومن تلك الأشياء التى يظهر منها بوضوح - كما قلت - أنهم أكثر الناس خمولا وأكثرهم أحلاما .

وآخر كان خجولا إلى هذه الدرجة التى يغض فيها البصر أمام نظرات الرجال، لدرجة أنه كان يتعين عليه أن يجمع كل إرادته البائسة للدخول إلى مقهى أو المرور أمام شباك تذاكر مسرح حيث يبدو له المراقبون وقد غمرتهم جلال (مينوس وإيك ورادامانت)، كان هذا الخجول يقفز فجأة على رقبة عجوز يمر بجواره ويعانقه بحماسة أمام دهشة الجمهور، لماذا ؟ لأن .. لأن سحنة الوجه هذه جعلته متعاطفا معها على نحو لايقاوم، ربما .. ولكن الأكثر ملاءمة أن نفترض أنه هو نفسه لا يعرف السبب .

لقد كنت أكثر من مرة ضحية لهذه الأزمات وهذه النزوات التى تحملنا على الاعتقاد أن شياطين شريرة تنزلق علينا وتجعلنا ننفذ، بغير وعى منا أشد رغباتها عبثية .

وذات صباح، صحوت عابسًا، حزينًا، متعبًا من البطالة، ومدفوعًا كما أحسب إلى عمل شىء عظيم، عمل ذى بريق، وفتحت النافذة .. وياللأسف !

(أرجــوكم أن تلاحظوا أن روح الخــداع التى لا تأتى عند بعض الأشخاص نتيجة لعمل أو تدبير، بل نتيجة إلهام فجائى، تسهم كثيرا أو بحمية الرغبة على أقل تقدير فى هذا المزاج، الهستيرى حسب رأى الأطباء، الشيطانى حسب قول من يفكرون أفضل قليلا من الأطباء، هى التى تدفعنا دون مقاومة نحو حشد من الأعمال الخطرة أو غير اللائقة).

كان أول شخص لمحته فى الشارع بائعا للزجاج، كان نداؤه صراخًا ثاقبًا، ناشزًا صعد إلىَّ عبر الجو الباريسى الثقيل الملوث، ومن جهة أخرى، سيكون من الصعب علىَّ أن أقول لماذا شعرت نحو هذا الرجل المسكين بحقد مفاجئ طاغ.

– «أنت يا ..!» ناديته أن يصعد، وبينما كنت أفكر، على نحو لا يخلو من فرح لوجود الغرفة فى الطابق السادس وضيق السلم الشديد، أن الرجل لابد أن يعانى بعض الألم أثناء صعوده، وأن زوايا بضاعته الهشة سوف تعلق بأكثر من موضع.

ووصل أخيرا، فتفحصت فى تطفل كل ما معه من زجاج وقلت له: «كيف ؟ أليس معك زجاج ملون؟ زجاج وردى، وأحمر، وأزرق، وزجاج سحرى، وزجاج من الجنة؟ وبوقاحتك هذه تجرؤ على التجول فى الأحياء الفقيرة وليس لديك حتى الزجاج الذى يجعل رؤية الحياة جميلة ؟!» ودفعته بعنف إلى السلم حيث تعثر متذمراً.

واقتربت من الشرفة وأمسكت بإناء زهر صغير، وعندما خرج الرجل من منفذ الباب، تركت آلة حربى تسقط عمودية على الحافة الخلفية لحمولته، فقلبته الصدمة، وتسببت فى أن تتحطم تحت ظهره كل

ثروته الفقيرة المتنقلة محدثة ضجة هائلة كقصر من البللور نزلت به صاعقة .

وصرخت فيه غاضباً بحماقتى:

- « الحياة جميلة ! الحياة جميلة !»

هذا المزاج العصبى لا يمر دون خطر، وقد يكلف المرء ثمناً غالياً. ولكن ما جدوى أبدية اللعنة عند من وجد فى ثانية اللذة اللامتناهية؟

فى الساعة الواحدة صباحًا

A Une Heure Du Matin

أخيراً ! وحدى ! لم يعد يتناهى إلى السمع سوى دحرجة بعض العربات المتأخرة المرهقة، خلال بضع ساعات، سنمتلك الصمت أو الراحة على الأقل ، أخيراً اختفى طغيان الوجه البشرى، ولن أعود إلى معاناة إلا وجودى نفسه .

أخيراً سمح لى أن أستريح فى حمام من الظلمات، سأقوم أولا بإغلاق الباب جيداً؛ إذ يبدو لى أن دورة المفتاح هذه ستزيد من عزلتى، وتعزز التحصينات التى تفصلنى حاليا عن العالم .

حياة مرعبة ! مدينة مرعبة ! فلنراجع هذا اليوم: رؤيتى لبعض الأدباء الذين سألنى واحد منهم عما إذا كان فى مقدور المرء أن يسافر إلى روسيا عن طريق البر (لقد تصور روسيا جزيرة بلاشك)، جدل مستفيض ضد مدير إحدى المجلات الذى كان يجيبنى على كل اعتراض قائلا: «هنا حزب الرجال الشرفاء» مما يعنى ضمنا أن كل الصحف الأخرى يحررها أوغاد ، سلامى على عشرين شخصاً، أعرف منهم خمسة عشر، توزيعى نفس النسبة من المصافحة باليد دون أخذ احتياط بشراء قفاز ، صعودى لقتل الوقت أثناء هطول المطر عند امرأة لعوب أخذت ترجونى أن أصمم لها بدلة من بدل (فينستر)، توددى إلى مدير مسرح قال لى وهو يصرفنى: «ربما كان من الأفضل لك أن تخاطب (ز...) وهو أثقل كتّابى وأكثرهم حماقة وشهرة، ربما استطعت أن

تتوصل معه إلى شيء ، اذهب لمقابلته وسنرى حينئذ»، تفاخرى (لماذا) بكثير من الأفعال الشريرة التى لم أرتكبها أبداً، إنكارى فى جبن بعض الإساءات الأخرى التى اقترفتها فى تلذذ، رذيلة التبجح، جريمة احترام البشر، رفضى خدمة سهلة لصديق، وإعطائى توصية كتابية لأحمق غريب الأطوار، أوف ! هل انتهى هذا ؟

ولأنى مستاء من الجميع ، ومستاء من نفسى ، فلقد أردت أن أستجمع ذاتى وأسترد كبريائى فى صمت الليل وعزلته ، فيا أرواح من أحببت ، يا أرواح من غنيت ، ساندينى ، وشدى من أزرى ، وأبعدى عنى الكذب وأبخرة العالم الفاسدة ، وأنت يا سيدى ! يا إلهى ! وفقنى إلى فضيلة خلق بعض الأشعار الجميلة التى تثبت لى أنا نفسى أننى لست آخر الرجال ، وأننى لست أقل من أولئك الذين أحتقرهم !

الزوجة المتوحشة والعشيقة الشابة

La Femme Sauvage

El La Petite Maitresse

« حقا ، يا عزيزتى ، إنك ترهقيننى بلاحد وبلا شفقة ، حتى ليبدو الأمر عند سماعك تتنهدين وكأنك تقاسين أكثر من العجائز اللاتى بلغن الستين من جامعات السنابل المتبقية بعد الحصاد ، وأكثر من المتسولات اللاتى يلتقطن لقيمات الخبز أمام أبو اب الملاهى الليلية »

ولو كانت تنهداتك ، على الأقل ، تعبر عن الندم ، لأسبغ هذا عليك بعض الشرف ، ولكنها لاتعبر إلا عن الشبع من رفاهية العيش وإعياء الراحة ، ثم إنك لاتوقفين سيل كلماتك غير المجدية : « أحبونى بعمق ، إنى بحاجة ماسة إلى حبكم ، خففوا عنى بهذا داعبونى بذاك » .

أمسكى ، إنى أرغب فى محاولة إشفائك ، فلربما وجدنا وسيلة زهيدة الثمن وسط حفل ودون الذهاب بعيدا .

تأملى جيدا ، أرجوك ، هذا القفص الحديدى المتين الذى يتحرك فى داخله صارخا كملعون ، يهز القضبان كإنسان الغابة الذى يسخطه النفى ، مقلدا بكل إتقان قفزات النمر الدائرية تارة ، وتارة تخطرات الدب الأبيض السمجة ، وذلك الوحش المشعر الذى تشبه هيئته - على نحو ما - هيئتك .

هذا الوحش هو أحد الحيوانات التى نسميها بصفة عامة : « ملاكى » ، أى زوجة ، أما الوحش الآخر الذى يصيح بصوت عال ،

وعصاه فى يده ، فهو زوج ، وقد كبل زوجته الشرعية بالأغلال كبهيمة ، ويعرضها فى الضواحى ، أيام السوق ، بتصريح من القضاة ، بطبيعة الحال .

انتبهى جيداً ! انظرى بأى نهم « وربما كان غير مصطنع » تمزق الأرانب الحية والدواجن الصائحة التى يلقيها إليها حارسها ، ويقول : « هيا ! يجب ألا تأكلوا كل ما عندكم من خير فى يوم واحد » وعند هذه الكلمة الحكيمة ، ينزع منها الفريسة بشراسة بينما تظل الأمعاء الفارغة معلقة للحظة على أسنان البهيمة المفترسة ، أقصد أسنان الزوجة .

« هيا ! » وضربة قوية بالعصا لتهدئتها ؛ لأنها حدقت بعينيها المرعبتين فى اشتهاء إلى الغذاء المنتزع منها ، يا إلهى العظيم لم تكن العصا مجرد فكاهة ، هل سمعتم أنين اللحم رغم الشعر الزائف ؟ لهذا خرجت العينان الآن من الرأس وراحت المرأة تعوى على نحو أكثر طبيعية ، وفى غضبها كانت تتوهج تماما كالحديد عند طرقه .

تلك هى الأعراف الزوجية عند هذين المنحدرين من سلالة آدم وحواء ، وهما من صنع يديك ياربى . إن هذه المرأة تعسة بلا مراء . وبالرغم من كل شىء ، فإن أفراح المجد المدغدغة ربما لم تكن مجهولة لديها ، وثمة من التعاسات مالا يمكن علاجه ودون أى تعويض ، ولكن ليس فى هذا العالم الذى ألقيت فيه من يستطيع التصديق أبدا أن المرأة استحقت مصيرا آخر .

« والآن لنعد إلينا نحن الاثنين ، ياعزيزتى الغالية ! عند رؤية سكان الجحيم الذين يعمرون العالم ، كيف تريدين منى أن أفكر فى جحيمك الجميل ، وأنت التى لاترتاح إلا على أنسجة ناعمة نعومة بشرتها ولا

تأكل إلا من اللحم المطهى ، والتى من أجلها يقوم خادم بارع بتقطيع الشرائح ؟» .

وماذا بوسع هذه التنهدات الصغيرة ، التى تملأ صدرك العطر ، أيتها المتأنقة قوية البنيان ، أن تعنى بالنسبة لى ؟ وكل هذه العواطف المتصنعة التى تفيض بها الكتب ، وهذه الكآبة التى لا تنقطع ، أيقصد بها أن تلهم المشاهد عاطفة أخرى غير الشفقة ؟ ففى الحق أنى تأخذنى الرغبة أحيانا فى تعليمك معنى التعاسة الحقيقية .

وعند رؤيتك هكذا ، يا جميلتى الرقيقة ، الأقدام فى الوحل ، والعيون قد شخصت دامعة إلى السماء كأنها تسألها ملكا ، فإنك تشبهين على الأرجح ضفدعة صغيرة كانت تبتهل إلى المثال ؛ فإن تحتقرى الرجل الضعيف (الذى هو أنا الآن كما تعرفين جيدا) فاحذرى هذا الكركى الذى سيلتهمك ويبتلعك ويقتلك كما يحلو له .

« ومهما كنت شاعرا ، فلست ساذجا إلى الحد الذى تريدين أن تصدقيه ، وإذا أرهقتنى كثيرا بنوبات البكاء المتكلفة ، فسوف أعاملك معاملة الزوجة المتوحشة ، أو سألقى بك من النافذة كزجاجة فارغة ! » .

الجماهير

Les Foules

أن يلتف حولك البشر ، ليس مما يوهب لكل إنسان فالتمتع بالجمهور فن ، وهذا وحده يمكن أن يمنح دفعة من الحيوية لمن نفخت جنية فى مهده حب التنكر والقناع ، وبُغض الإقامة وعشق الرحيل .

فالاختلاط والعزلة مصطلحان متساويان وقابلان للتحول عند الشاعر النشيط خصيب الإنتاج ، الذى لايعرف كيف يملأ عزلته بالناس ، ولا يعرف إلا أنه وحيد وسط جمهور مشغول بأموره .

إن الشاعر يتمتع بذلك الامتياز الذى لا يقارن وهو أن يكون نفسه والآخرين ، ومثل تلك الأرواح الشاردة التى تبحث عن أجساد ، يدخل حين يشاء شخصية كل إنسان ؛ فكل الأشياء شاغرة بالنسبة له وحده ، وإذا بدت له بعض الأماكن مغلقة دونه فذلك لأنها فى نظره لاتستحق عناء الزيارة .

ومن يتنزه وحده متأملا يستخلص نشوة فريدة من ذلك الاتحاد بالكون ؛ فمن يتآلف مع الجماهير بسهولة يعرف الأفراح المحمومة التى يظل الذاتى محروما منها على نحو أبدى ، مغلقا كصندوق ، ويظل الكسول مسجونا كأحد الرخويات ؛ فهو يتبنى مثلهم كل المهن وكل الملذات ، وكل ألوان البؤس التى تواجهه بها الظروف .

إن ما يصفه البشر بأنه حب صغير جداً ، ومحدود جداً ، وضعيف جداً إذا قورن بهذا العرس الذى لايوصف ، وبهذا البغاء المقدس للروح التى تمنح نفسها تماماً شعراً وإحساناً لأول قادم غير منتظر ، ولهذا المجهول الذى يمر .

من الخير أحيانا أن نعلم سعداء هذا العالم ، ولو لإذلال كبريائهم الأحمق للحظة ، أن هناك سعادات أسمى من سعاداتهم ، وأكثر رحابة ونقاء ، ودون ريب ، يعرف مؤسسو المستعمرات ، ورعاة الشعوب ، وكهنة إرساليات التبشير المنفيون فى أقصى العام ، شيئاً ما عن هذه المسرات الغامضة ، وفى صدر الأسرة الكبيرة التى كونتها عبقريتهم ، لاريب أنهم يسخرون أحياناً من هؤلاء الذين يرْثون حظهم شديد الاضطراب وحياتهم شديدة التعفف .

الأرامـــــل

Les Veuves

يقول فوفينارج[1] إن فى الحدائق العامة ممرات مسكونة على نحو أساسى ، بالطموح الخائب ، وبالمخترعين سيئى الحظ ، والأمجاد المجهضة ، والقلوب الكسيرة ، وكل هذه الأرواح الصاخبة والسجينة التى ماتزال تصعد منها الزفرات الأخيرة لعاصفة ، فتتوارى عن الأنظار الوقحة للسعداء والعاطلين ، وهذه الأماكن المنعزلة الظليلة هى ملتقى صرعى الحياة .

ونحو هذه الأماكن خاصة ، يحب الشاعر والفيلسوف أن يوجها حدسهما النهم ؛ ففيها مرعى مؤكد . وإذا كان هناك مكان يحتقران أن يزوراه كما ألمحت منذ قليل ، فهو فرح الأغنياء على وجه الخصوص ، فليس فى هذا الصخب الفارغ ما يجتذبهم ، بل على العكس ، يشعران – على نحو لايقاوم – بميل إلى كل ما هو ضعيف ، وخرب ، ومحزون ، ويتيم .

إن العين الخبيرة لاتخطئ هذا أبدا فى تلك الملامح القاسية أو المهزومة ، فى تلك العيون الكهوف الكليلة والتى مازالت تومض بآخر

(١) هو الكاتب الفرنسى لوك دى كلابييه ، ماركيز دى فوفينارج , Luc de clapiers Marquis de Vauvenargues : ولد فى مدينة إكس أون بروفانس عام ١٧١٥ – وانضم إلى الخدمة العسكرية حتى صار قائدا واشترك فى عدة حملات ، اضطر إلى الاستقالة لضعف صحته . تحول إلى الأدب وكتب مقدمة للتعرف على الروح الانسانية عام ١٧٤٦ وتأملات وحكم ، كان يميل إلى عقد مصالحة بين العقل والعاطفة ، مما يعتبر إرهاصا مبكرا للرومانسية أعجب به فولتير لفصاحته وشجاعته ، توفى عام ١٧٤٧ وهى فى الثانية والثلاثين .

بريق للصراع ، فى تلك التجاعيد العميقة والكثيرة ، وفى تلك الخطوات المترنحة شديدة البطء ، تكتشف على الفور سر الأساطير التى لاتحصى للحب المخفق ، وللإخلاص الذى لم يقدر حق قدره ، وللجهود التى لم تكافأ ، وللجوع والبرد اللذين تم احتمالهما فى صمت وتواضع .

هل لمحتم أحيانا أرامل على هذه المقاعد المنعزلة ، أرامل فقيرات ؟ وسواء كن فى ملابس الحداد أو لم يكن ، فإن من السهل التعرف عليهن . ومن جهة أخرى ، دائما ما يكون هناك شىء ناقص فى حداد الفقير ، غياب الانسجام مما يجعل الأمر مؤسفا ؛ فهو مضطر أن يشح فى إظهار ألمه ، بينما يمضى الغنى فى ألمه إلى أقصى حد .

من هذه الأرملة الأشد حزنا ، والأكثر إثارة للحزن ، أهى تلك التى تسحب بيدها طفلا لاتستطيع أن تشاركه أحلامها ، أم تلك الوحيدة تمامًا ؟ إنى لا أعرف . لقد حدث ذات مرة أن تتبعت خلال الساعات الطويلة ، عجوزا محزونة من هذه الفصيلة ، كانت متصلبة مستقيمة تحت شال صغير رث ، تحمل فى كل كيانها كبرياء الرواقى .

كان من الواضح أن عزلتها المطلقة قد حكمت عليها بعادات العجوز الأعزب ، وأضاف الطابع الذكورى لأخلاقه ، حدة غامضة على تقشفها ، لا أعرف فى أى مقهى بائس أو بأى طريقة تناولت غداءها ، تتبعتها إلى حجرة القراءة فى أثناء بحثها فى المجلات بعيون أحرقها الدمع يوما ، عن أخبار لها أهمية كبرى وشخصية .

وأخيراً ، فى الظهيرة ، تحت سماء خريفية ساحرة ، إحدى تلك السماوات التى تتنزل منها على الناس الأحزان والذكريات ، جلست منعزلة فى حديقة ، لتسمع بعيدا عن الجمهور ، واحدة من تلك الحفلات الموسيقية ، التى توهب فيها الموسيقا العسكرية ، إلى الشعب الباريسى .

كان هذا ولا ريب الفجور البسيط لتلك العجوز البريئة (أو هذه العجوز المتطهرة) والعزاء الذى كانت تحصل عليه فى هذه الصباحات الثقيلة التى تمر دون صديق ، دون محادثة ، دون فرح ، دون نجي ، العزاء الذى أنعم به الله عليها ، ربما منذ أعوام ، خمسا وستين مرة وثلاثمائة فى العام .

وكذلك واحدة أخرى :

لم أستطع أن أمنع نفسى من إلقاء نظرة إن لم تكن ودودة بشكل عام فعلى الأقل فضولية ، إلى حشد المنبوذين الذين يتزاحمون حول سور دار للحفلات الموسيقية العامة ، كانت الأوركسترا تعزف خلال الليل أغانى العيد عن النصر أو اللذة ، وكانت الثياب تنسحب متلألئة والنظرات تتلاقى ، والعاطلون مرهقون من كونهم لايعملون شيئًا ، يتخطرون متظاهرين فى فتور بتذوق الموسيقا ، وليس هنا إلا ما ينم عن الغنى والسعادة ، وما يتنفس ويلهم اللامبالات والمسرة وانطلاق الحياة . لاشىء إلا مشهد العامة التى تضغط على الحاجز الخارجى ، وتقتنص مجانا ، قطعة موسيقية من قبضة الريح ، وهى تنظر إلى السعير المتوهج فى الداخل .

من الممتع دائما أن ينعكس فرح الأغنياء أغوار عيون الفقراء ولكنى فى ذلك اليوم ، بين الناس الذين يرتدون صديريات وملابس قطنية مشجرة ، لمحت كائنا تشع النبالة من وجهه فى تناقص ظاهر مع كل التفاهات المحيطة.

كانت تلك امرأة رائعة ، مهيبة كملكة ، وفائقة فى كل هيأتها ، حتى إنى لاأذكر أنى رأيت نظيرا لها فى مجموعة فاتنات أرستقراطية الماضى ،

ينبعث عطر الفضيلة الرفيع من شخصها كله ، وجهها حزين ونحيل فى توافق كامل مع هذا الحداد العميق الذى كان يكتفها ، وكانت مثل العوام بين الذين اختلطت بهم ولم تكن تراهم ، كانت تنظر إلى العالم المضىء بعيون عميقة ، مصغية وهى تهز رأسها فى رفق .

رؤية فريدة ! وقلت لنفسى : « بالتأكيد ، هذا الفقر ، إذا كان هناك فقر ، يجب ألا يسمح بالشح الردىء على النفس ودليلى على هذا ذلك الوجه البالغ . لماذا إذن تبقى طواعية في هذا الوسط حيث تشبه بقعة مضيئة ؟»

ولكن عند مرورى بالقرب منها مستطلعا ، أعتقد أنى خمنت السبب ، كانت الأرملة الفخمة تمسك فى يدها طفلا متشحا مثلها بالسواد ، ومهما كان ثمن تذكرة الدخول زهيدا فإن هذا الثمن ربما كان كافيا لشراء شىء لهذا الكائن الصغير ، ربما كان شيئًا زائدا عن الحاجة ، مجرد لعبة .

وسوف تعود ثانية على قدميها وحالمة ، وحيدة ودائماً وحيدة ، لأن الطفل صاخب وأنانى بلا وداعة وبلا صبر ، ولايستطيع هو نفسه ، مثل الحيوان الساذج كالكلب والقط ، أن يقوم بدور النجى عن البوح بآلام العزلة !

المهرج العجوز

Les Veuves Saltimbanque

فــى كل مكان ، كــان الناس فى عطلة ، يتــمــددون وينتــشــرون ويمرحــون ، فقــد كان هذا أحـد أيام العيـد التى يسـتعـد المهرجـون والبـهـلوانات ، ومـدربو الحـيوانات ، والباعـة المتجـولون ، قـبلها بزمن طويل ، للكسب والادخار لتعويض المواسم السيئة فى العام .

يبدو لى أن الناس في تلك الأيام ينسون كل شىء ، الألم والعمل ، ويتصرفون كالأطفال ، وكان هذا يوم أجازة بالنسبة للصغار ، يتأجل فيها كره المدرسة أربعا وعشرين ساعة ، وبالنسبة للكبار كان هدنة تعقد مع قوى الحياة الشريرة ، إرجاء للمشاحنات والصراعات الكونية .

وحتى رجل المجتمع نفسه ، الرجل الذى تشغله المهام الروحية ، لايفلتان بسهولة من تأثير هذا المهرجان الشعبى ، فهما يستمتعان ، حتى ولو لم يرغبا ، بنصيبهما من هذا الجو الحالى من الهموم ،أما بالنسبة لى ، فلم أفوت أبداً ، بوصفى باريسيا حقيقا ، فرصة المرور على كل الكبائن التى تعرض ما عندها متباهية فى تل الأيام الاحتفالية .

وفي الحق ، أنها كانت تستمر فى منافسة شديدة ، صارخة ، مطلقة للخوار والدوى ، وكان هذا من اختلاط الصياح ، بانفجارات آلات النفخ النحاسية وفرقعة الصواريخ .

وكان الشياطين ذوو الذيول الحمر ، والحمقى وهم يلوون قسمات وجوههم التى جفت وتصلبت بفعل الريح والمطر والشمس ، ينطلقون ،

مع اعتداد الممثلين الهزليين بأنفسهم وتأكدهم من تأثيراتهم ، وبالطرائف والنكات فى فكاهة جامدة ثقيلة كفكاهة موليير ، والهرقليون فخورون بضخامة أعضائهم ، دون جبة ودون جمجمة كقردة إنسان الغابة ، يختالون فى أبهة بأقمطتهم المغسولة بالأمس من أجل هذه المناسبة ، وكانت الراقصات جميلات كالجنيات أو الأميرات يقفزن ويستعرضن فى تفاخر على ضوء الفوانيس التى جعلت تنوراتهن تتلألأ .

ولم يكن هناك إلا الضوء ، والغبار ، والصرخات ، والسعادة والزئير ، وكان البعض يدفعون النقود والآخرون يكسبونها، ولكنهم جميعا كانوا متساوين فى الفرح ، وكان الأطفال يتعلقون بتنورات أمهاتهم ليحصلوا على قطعة من الحلوى ، أو يصعدون على أكتاف آبائهم ليتمكنوا من رؤية أوضح للساحر الذى كان يبهرهم كإله . وفى كل الأرجاء المحيطة كانت تسيطر على كل العطور رائحة القلى التى كانت بمثابة البخور فى هذا العيد .

وفى النهاية ، فى أقصى نهاية صف الكبائن ، كما ولو كان خجلاً ، قد نفى نفسه عن كل هذه المباهج ، رأيت مهرجاً فقيراً ، منحنياً ، هشاً مقعداً ، حطام رجل ، يستند بظهره إلى عمود من أعمدة كوخه الذى كان أبأس من كوخ أحط المتوحشين ، وكان عقبا شمعتين يذوبان ويدخنان ويكشفان عن محنته بوضوح أيضاً .

فى كل مكان ، كان الفرح ، والربح ، والانغماس فى الشهوات ، فى كل مكان كان تأمين الخبز للغد ، فى كل مكان كان الانفجار المسعور للحيوية ، أما هنا فالبؤس المطلق ، بؤس لذروة المأساة مزين بخرق مضحكة ، حيث كانت الحاجة ، أكثر بكثير من الفن ، هى التى صنعت

هذا التناقض ، ولم يكن المسكين يضحك ، ولم يكن يبكى ، ولم يكن يرقص ، ولم يكن يومئ و، ولم يكن يصرخ ، ولم يكن يغنى أى أغنية ، لامرحة ولاحزينة ، ولم يكن يبتهل ، كان أخرس ، وبلا حركة ، كان قد زهد فى الدنيا ، وتخلى عن حقه فى الحياة وقد تحدد مصيره .

ولكن أى نظرة عميقة لا تُنسى كان يرنو بها إلى الزحام والأضواء التى كانت كتلتها المتحركة تتوقف على بعد خطوات من بؤسه المنفر ، شعرت بحلقى يضيق تحت يد الهستيريا المرعبة ، وبدا لى أن عينى قد غامتا بتلك الدموع المتمردة التى لاتريد أن تسقط .

ما العمل ؟ ماجدوى أن تسأل هذا التعس عن أى شىء مثير للفضول ، أى أعجوبة كان يمكنه أن يعرضها فى هذا الظلام البغيض خلف ستاره المزق ؟ الحق أقول إنى لم أجرؤ على السؤال ، ولو أخبرتك بسبب خجلى فسوف تسخر منى ، إنى أعترف أنى خشيت أن أجرحه .

وأخيراً ، عقدت عزمى على أن أترك له بعض المال ، على أحد الألواح ، عند مرورى ، متعشقاً أن يدرك نيتى حين جاء حشد كبير من الناس مدفوعا بما لا أدرى من الهرج ليسحبنى بعيداً عنه .

وعدن عودتى مأخوذا بهذه الرؤية ، حاولت أن أفسر ألمى المفاجئ ، وقلت لنفسى : لقد رأيت صورة الأديب المسن الذى عاش بعد جيله ، وكان يقدم له أجمل تسلية .

وصورة الشاعر العجوز ، بلا أصدقاء ولاأسرة ، ولاأطفال وقد حط من شأنه البؤس والجحود العام ، وتركه فى الكابينة التى لم يعد العالم الذى ينسى يملك الرغبة فى دخولها ؟

الحـــــلوى

Le Gateau

كنت مسافراً ، وكان المنظر الطبيعي الذى وجدت نفسى فى وسطه على درجة من الجلال والنبل لاتقاوم ، لقد ترك عندى دون شك شيئا من روحه فى هذه اللحظة ، كانت أفكارى ترفرف بخفة تتساوى مع خفة الهواء ، وبدت لى العواطف الفجة مثل البغض والحب العميق الآن بعيدة أيضا كالغيوم التى تمر فى عمق الهاوية تحت قدمى ، وكانت روحى تبدو لى شاسعة أيضا وصافية كقبة السماء التى كانت تغلفنى ، ولم يكن يصل إلى قلبى إلا ذكرى الأشياء الأرضية ضعيفة وواهنة كصوت الجرس الصغير المعلق فى رقاب الحيوانات التى لايمكن رؤيتها ، والتى كانت تبدو بعيدة ، بعيدة جدا على سفح جبل آخر ، وعلى البحيرة الصغيرة الساكنة السوداء لعمقها الهائل ، كان يمر ظل سحابة أحياناً ، كانعكاس ستار لعملاق هوائى يطير عبر السماء ، وإنى لأذكر أن هذا الإحساس الاحتفالى والنادر الذى بعثته فى نفسى حركة صامتة تماماً ملأنى بالفرح المشوب بالخوف ، باختصار كنت أشعر بفضل الجمال المتحمس الذى يحيطنى بالسلام الكامل مع نفسى ومع الكون ، حتى أنى ظننت فى غبطتى الكاملة ، وفى نسيانى الكامل للشر الأرضى أننى استنتجت منه ألا أعد الصحف مخطئة جداً ، لأنها تدعى أن الإنسان يولد طيبا – حين تجدد المادة غير القابلة للشفاء من متطلباتها ، ورحت أفكر فى أن أتخلص من تعبى وأن أسرى عن شهيتى مما أصابها بسبب الصعود المتواصل فأخرجت من جيبى قطعة كبيرة من الخبز وقدحا من الجلد ، وقنينة من إكسير معين كان الصيادلة يبيعونه للسياح فى هذا الوقت لمزجه حين تحين الفرصة بماء الثلج .

كنت أقطع خبزى فى هدوء ، حين جعلتنى ضجة خفيفة جداً أفتح عينى ، كان يقف أمامى كائن صغير ، رث الثياب أسود ، أشعث الشعر، عيناه غائرتان ، مقطبتان ، تلتهمان قطعة خبز كالمتسولين ، وسمعته يزفر بصوت خفيض خشن كلمة : « جاتوه » ، لم أستطع أن أمنع نفسى من الضحك عند سماعى هذه التسمية التى أراد بها تشريف خبزى الأبيض تقريبا فقطعت له حلقة كبيرة ومنحتها له ، فتقدم ببطء ولم يرفع عينيه عن موضوع اشتهائه ، ثم اختطف القطعة بيده ، وتراجع فى حيوية كما لو أنه يخشى أن تكون منحتى غير خالصة أو أننى أندم عليها مقدما ، ولكن - فى اللحظة نفسها - قلبه على وجهه صغير « متوحش » آخر ، لا أعرف من أين خرج وكان يشبه الأول تماما حتى ليمكن للمرء أن يعده أخاه التوأم ، وأخذا معا يدوران على الأرض ، ويتجاذبان الغنيمة الغالية ، ولاشك أن أيا منهما كان لايريد التضحية بنصفها لأخيه ، فأمسك الأول غاضبا بشعر الثانى الذى عض أذنه بأسنانه منتزعا قطعة صغيرة ملوثة بالدم وهو يسبه بلهجة إقليمية ، حاول صاحب « الحلوى » الشرعى أن ينشب أظفاره الصغيرة فى عينى مغتصبها الذى استجمع كل قواه بدوره ، ليخنق عدوه بيديه ، فيما حاول الأول أن يدس ثمن المعركة فى جيبه ، ولكن المهزوم ، مدفوعا باليأس ، نهض وأوقع المنتصر على الأرض بضربة من رأسه فى بطنه .

ما جدوى وصف صراع بشع استمر فى الواقع وقتا أطول مما استطاعت قواهما الطفلية أن تتحمل ، وانتقلت الحلوى من يد إلى يد ، ومن جيب إلى جيب ، فى كل لحظة ، ولكنها واأسفاه ، كانت تفقد حجمها أيضًا ، وعندما شعرا أخيراً بالإعياء ، وهما يلهثان ، وينزفان الدم ، توقفا لعدم استطاعتهما الاستمرار ، ولم يكن هناك داع فى الحقيقة لمعركة فقد اختفت قطعة الخبز ، وتناثرت إلى فتات يشبه حبات الرمل التى امتزجت بها .

وقد غطى هذا المشـهد بالضبـاب المنظر الطبيـعى ، والمتـعة الهـادئة اللذين غمرا روحى قبل رؤية هذين الشابين اللذين اختفيا تماما ، ومكثت حـزينا فتـرة طويلة جـدا وأنا أكـرر : هناك إذن وطن عظيم حـيث يسـمى الخبز فيه بالحلوى ، والحلوى نادرة بما يكفى لنشوب حرب هى قتل للأخ على نـحو كامل .

ساعة الحائط

L’orloge

ينظر الصينيون إلى الساعة فى عيون القطط .

ذات يوم كان أحد المبشرين يتنزه فى ضاحية نانكين ، وأدرك أنه نسى ساعته ، فسأل صبيا صغيراً عن الوقت .

تردد ابن الإمبراطورية السماوية فى البداية ، ثم غير رأيه ، وأجابه « سأقول لك » وبعد لحظات قليلة ، عاد ممسكا قطًا قويًا ضخمًا بين ذراعيه ، ناظرًا إليه ، كما يقال ، فى بياض عينيه ، وأكد دون تردد : « لم يحن منتصف النهار بعد » .

وكان هذا صحيحًا .

أما بالنسبة لى ، فإذا انحنيت على « فيلين » قطتى الجميلة الماكرة ، التى سميت بهذا الاسم العذب ، والتى هى شرف لجنسها ، وهى فى الوقت نفسه نشوة لقلبى ، وعطر لروحى ، وسواء أكان النهار أم كان الليل ، فى الضوء الساطع أو الظلام الدامس ، ففى أعماق عينيها المعبودتين ، أنظر دائمًا إلى الساعة ، بوضوح ، وهى نفسها دائمًا ساعة واسعة مهيبة شاسعة كالفضاء دون تقسيم الدقائق والثوانى – ساعة لاتتحرك ، ليس عليها علامات ساعة الحائط ومع هذا فهى خفيفة كزفرة ، سريعة كطرفة عين .

فإذا شغلنى شخص مزعج بينما تستقر نظرتى على مينائها اللذيذ ، لو جاءنى جنى شرير وظالم ، شيطان الوقت غير المناسب ، وقال

لى : « إلام تنظر بكل هذا الاهتمام ؟ ما الذى تبحث عنه فى عينى هذا الكائن ؟ أتنتظر فيهما إلى الساعة ، أيها الفانى السفية الكسول ؟ «لأجبته دون تردد : « نعم أنظر فيهما إلى الساعة . إنى أرى الأبدية !»

أليست هذه ، ياسيدتى ، غزلية جديرة بالتقدير حقا ؟ أليست فخمة مثلك تماماً ؟ ففى الحق أنى شعرت بسعادة غامرة بتطريز هذا الإطراء المغرور حتى إنى لن أطلب منك شيئًا فى مقابله .

نصف العالم فى جديلة

Un Hemis Phere Dans Une Chevelure

دعينى أتنفس رائحة شعرك طويلا طويلا ، حيث أدس فيه وجهى كله كما يفعل الظمآن فى ماء نبع ، أحركه بيدى كمنديل معطر لأنثر الذكريات فى الهواء .

ليتك تستطيعين أن تعرفى كل ما أرى ، كل ما أتنسمه كل ما أسمع فى شعرك ! فروحى تسافر فى العطر كما تسافر أرواح رجال آخرين فى الموسيقا .

إن شعرك يضم حلما حافلا بالأشرعة والصوارى ، إنه يحتوى على بحار واسعة ، تحملنى منها الرياح الموسمية صوب أجواء ساحرة ، حيث الفضاء أكثر زرقة وأشد عمقا ، حيث الهواء معطر بالفاكهة ، والأوراق ، والإهاب البشرى .

وفى محيط جديلتك ألمح مرفأ يمتلئ بأغان حزينة ورجال أشداء من كل الجنسيات ، وسفن من كل الأشكال تشق عمارتها الجميلة المركبة سماء هائلة حيث تسترخى الحرارة الأبدية .

وفى دغدغة جديلتك ، أجد فتور الساعات الطويلة وهى تمر على أريكة فى قمرة سفينة جميلة ، مهدهدة بتمايل غير محسوس فى ميناء ، بين أوانى الزهر وأباريق الماء المرطبة .

وفى مفرق شعرك المتوهج أتنفس رائحة التبغ ، ممزوجة بالأفيون والسكر ، وفى ليل جديلتك أرى لانهائية اللازورد الاستوائى تتلألأ على شواطئ شعرك المزغبة ، فأسكر بعطور تتألف من القار والمسك وزيت جوز الهند .

دعينى أقبِّل طويلا جدائلك الثقيلة السوداء ، وحين أعض شعرك الطرى المتمرد أشعر كأنى أتغذى على الذكريات !

الدعوة إلى الرحيل

L'invitation Du Voyage

إنه لبلد رائع ، أرض النعيم ، كما يقال ، ذلك الذى أحلم بزيارته مع صديقة قديمة ، بلد فريد ، غارق فى ضباب شمالنا ، كان يمكن تسميته بشرق الغرب ، صين أوروبا ، وبقدر ما أعطى الخيال المتقلب الأهواء مجالاً فيه ، بقدر ما زينه فى صبر وثبات بنباتاته الرقيقة البارعة .

أرض النعيم بحق ، حيث كل شيء جميل ، وغنى ، وهادئ ، وأمين ، حيث يسعد الترف أن يرى نفسه فى النظام ، حيث الحياة خصبة ومفعمة بالعطر ، وقد نفيت منه الفوضى والصخب وما لا ينتظر ، حيث تقترن السعادة بالصمت ، حيث المطبخ نفسه شاعرى ، غنى ومثير فى الوقت نفسه ، وكل شيء هناك يشبهك ياملاكى الغالى ، هل تعرفين هذا المرض المحموم الذى يستولى علينا بنوبات البؤس الباردة ، ذلك الحنين للوطن الذى نجهله قلق حب الاستطلاع ؟ إنه قطر يشبهك ، كل شيء فيه جميل وغنى وهادىء وأمين ، وقد بنى الخيال فيه صيناً غربية وزينها ، وحيث يطيب تنسم عبق الحياة .

وحيث السعادة تتزوج الصمت ، إنه المكان الذى ينبغى الذهاب للحياة فيه ، وهو المكان الذى يستحب فيه الموت .

نعم ! إنه هناك حيث ينبغى الذهاب للتنفس ، والحلم ومد الساعات بلا نهائية الأحاسيس ، لقد كتب أحد الموسيقيين موسيقا « الدعوة إلى الفالس » فمن سيكتب موسيقا « الدعوة إلى الرحيل » التى يمكن تقديمها إلى المرأة المحبوبة ، إلى الأخت المنتخبة ؟

نعم ، فى هذا الجو تطيب الحياة ، هناك حيث الساعات الأشد بطئا تنطوى على كثير من الأفكار ، حيث تدق ساعات الحائط أجراس السعادة أكثر عمقا وأكثر دلالة على الجلال .

إنهم يعيشون فى بساطة ، على اللافتات اللامعة ، أو على الجلود المذهبة ، وعلى ثروتهم الضئيلة ، وعلى لوحات جميلة هادئة وعميقة كأرواح الفنانين التى خلقتها ، والشموس الغاربة التى تلون فى ثراء قاعة الطعام ، أو قاعة الاستقبال تسلل من خلال الأنسجة الجميلة ، أو النوافذ العالية المشغولة حتى تفرق ضوءها الرصاصى على مقاصير كثيرة ، والأثاث الكبير ، طريف ، غير مألوف ، مدعم بالأقفال والأسرار كالأرواح المرهفة ، وهناك تعزف المرايا ، والمعادن والأنسجة والحلى ، والخزف سيمفونية صامتة وغامضة من أجل العيون . ومن كل شىء ، ومن كل ركن ، ومن شقوق الأدراج ، وثنايا النسيج ينسرب عطر فريد ، عودة من جديد إلى سومطرة التى تشبه روح هذه الشقة .

أرض النعيم حقا ، كما قلت لك ؟ حيث كل شىء غنى ونظيف ولامع كضمير نقى ، كآنية المطبخ الرائعة ، كالحلى الفخيمة ، كالجواهر المصقولة ! وهناك تتدفق كنوز العالم كما يحدث فى بيت رجل مجتهد ، استحق خير العالم كله ، بلد فريد ، أسمى من البلاد الأخرى كما يسمو الفن على الطبيعة حيث إن الفن هو الطبيعة التى أعاد الحلم بناءها ، وأصلح فروضها ونمّقها ، وصاغها من جديد .

فليبحث ، فليبحث أيضا ، كيميائيو زراعة البساتين القدماء هؤلاء أن يزيدوا دون توقف حدود سعادتهم ، وليقترحوا مكافأة ستين ومائة ألف فلورين لمن سيحل مشاكلهم الطموحة ، أما أنا فقد وجدت زهرتىً :

زهرة التيوليب السوداء ، وزهرة الداليا الزرقاء .

زهرة لاتقارن ، زهرة التيوليب التى وجدتها ثانية ، أما زهرة الداليا الأمثولة ، فإنه هناك ، أليس كذلك ، كان ينبغى لها الذهاب إلى ذلك البلد الجميل ، الشديد الهدوء ، الكثير الأحلام كي تعيش وتزهر ، ألن تكونى مؤطرة فى قياسك ؟ ألن تستطيعى النظر فى مرآتك لتتحدثى كالمنصوفة فى مراسلتك الخاصة ؟

أحلام ! ودائمًا أحلام ، وكلما كانت الروح شديدة الطموح والرقة استعصت الأحلام على الإمكان . إن كل إنسان يحمل فى داخله جرعة من الأفيون الطبيعى يتم إفرازها وتجديدها بلا انقطاع من الميلاد حتى الموت ، وكم نعد الساعات المليئة بالفرح الإيجابى ، والعمل الناجح المستقر ، هل نعيش أبداً ، هل ندخل أبداً هذه اللوحة التى رسمتها روحى ، هذه اللوحة التى تشبهك ؟

إن هذه الكنوز ، وهذا الأثاث ، وهذا الترف ، وهذا النظام ، وهذه العطور ، وهذه الزهور المعجزة هى أنت . وأنت أيضًا هذه الأنهار الكبيرة ، وهذه القنوات الهادئة ، وهذه السفائن المثقلة بالثروات ، تتصاعد منها الأغانى الرتيبة للبحارة ، إنها أفكارى التى تنام ، أو التى تدور فوق نهدك ، إنك تقودينها نحو البحر اللامتناهى وتعكس أعماق السماء فى صفاء روحك الجميلة ، وحينما يرهقها هياج الموج ، وامتلاؤها بمنتجات الشرق ، فإنها تعود إلى الميناء الذى شهد مولدها ، وكذلك تفعل أفكارى التى تعود إليك من اللانهائى !

لعبة الفقير

Le Joujou Du Pauvre

أريد أن أعطى فكرة عن تسلية بريئة ، فهناك قليل جدا من أنواع التسلية التى لا لوم عليها .

فعندما تخرج من بيتك فى الصباح ، عاقد العزم على التجول فيى الطرقات الواسعة ، املأ جيبك بمخترعات صغيرة رخيصة ، مثل الدمية المسطحة التى تعمل بسلك واحد ، والحدادين الذين يطرقون السندان ، والفارس على حصانه الذى ينتهى ذيله بصفارة ، وأمام الملاهى الليلية ، تحت جذوع الأشجار ، قدمها هدايا لأولئك الأطفال المجهولين الفقراء الذين ستقابلهم هناك ، وسترى كيف تتسع عيونهم إلى أقصى حد فى البداية ، ثم تقبض أيديهم على الهدية فى لهفة ، ويهربون كما تفعل القطط التى تبتعد عنك لتأكل قطعة من طعام قدمتها لها ؛ فقد تعلمت ألا تثق بالإنسان .

وفى طريق ، خلف بوابة حديدية لحديقة واسعة ، يظهر فى نهايتها بياض قصر جميل تضيؤه الشمس ، كان يقف طفل وسيم ناضر ، فى ملابس ريفية تنم عن ذوق رفيع .

إن الترف والخلو من الهموم ، ومنظر الثراء المعتاد ، يجعل هؤلاء الأطفال شديدى الوسامة حتى ليظن المرء أنهم خلقوا من عجينة أخرى غير التى خلق منها أطفال البسطاء أو الفقراء .

وبجانبه على العشب ، كانت ترقد لعبة فاخرة نضرة كسيدها ، مصقولة ، مذهبة ، تلبس ثوبا أرجوانيا ، ومغطاة بالريش والخرز ، ولكن الطفل لم يكن يعير التفاتا إلى لعبته المفضلة وكان هذا ما ينظر إليه :

فى الجانب الآخر من البوابة الحديدية ، عبر الطريق ، وسط الأشواك ، وأعشاب القُرَّاص الجارحة ، كان هناك طفل آخر قذر ، ضعيف البنية ، ملطخ بالسنَّاج ، أحد أولئك الأطفال المنبوذين ، يمكن للعين المنصفة أن تكتشف وسامته ، كما تكتشف عين الخبير لوحة مثالية تحت طلاء هيكله ، فتنظفه من صبغة البؤس البغيضة .

وعبر تلك القضبان الرمزية التى تفصل بين عالمين :

الطريق الواسع والقصر ، كان الطفل الفقير يعرض على الطفل الغنى لعبته الخاصة التى فحصها هذا بلهفة كشىء نادر ومجهول ، غير أن هذه اللعبة التى كان الصعلوك الصغير يضايقها بهزها وتحريكها داخل صندوق ذى شبكة من السلك كانت فأرا حيا ؛ فقد أخذ والداه ، لدواع اقتصادية ، ولاشك ، هذه اللعبة من الطبيعة نفسها .

وراح الطفلان يضحكان كل منهما للآخر على نحو أخوى ، بأسنان متساوية فى البياض !

هبات الجنيات

Les Dons Des Fees

كان هذا اجتماعا كبيرا للجنيات ، ليتصرفن فى توزيع الهبات على كل حديثى الولادة الذين وصلوا إلى الحياة منذ أربع وعشرين ساعة .

كانت كل أخوات القدر العتيقات المتقلبات الأهواء هؤلاء ، وكل أمهات الفرح والألم أولئك الغريبات الأطوار ، مختلفات بشدة ، فبعضهن كن متجهمات الوجه عابسات ، والأخريات كن مرحات ماكرات ، وبعضهن شابات ، قد كن على الدوام شابات ، والأخريات عجائز ، وقد كن عجائز على الدوام .

وكان كل الآباء الذين يؤمنون بالجنيات قادمين ، وكل منهم يحمل مولوده الجديد بين ذراعيه ، وكانت الهبات والكفاءات ، والحظوظ الطيبة ، والظروف التى لاتقهر متراكمة بجانب المحكمة ، كما تتراكم الجوائز على المنصة يوم التوزيع ، أما الشىء الخاص هنا فهو أن الهبات لم تكن جزاء على مجهود ، ولكن على العكس كانت كل منها نعمة أعطيت لمن لم يعش الواقع بعد ، وتستطيع كل نعمة أن تحدد مصيره ، وتصبح مصدرا لسوء حظه أو لحسن طالعه .

وكانت الجنيات المسكينات مشغولات تماما ، لأن حشد ملتمسى الهبات كان كبيرا ، والعالم الوسيط الموضوع بين الإنسان والله ، خاضع مثلنا للقانون المرعب للزمن ولذريته اللامتناهية من الأيام ، والساعات ، والدقائق ، والثوانى .

كن فى الواقع ذاهلات كالوزراء يوم انعقاد مجلسهم ، وكموظفى بنك التسليف حين يسمح عيد قومى بالإفراج مجانا ، بل إنى أعتقد أنهن كن ينظرن إلى عقرب ساعة الحائط الآخر ، بقدر من عدم الصبر كقضاة البشر ، الذين ، وقد عقدوا جلساتهم منذ الصباح ، لايستطيعون أن يمنعوا أنفسهم من الحلم بتناول الغداء مع أسرهم وهم يلبسون شباشبهم العزيزة ، فإذا كان فى القضاء فوق الطبيعى قليل من التسرع، والصدفة ، فلا يدهشنا أن يكون عندنا الشىء نفسه أحيانا فى القضاء البشرى . ولو أننا مكانهم ، لكنا ، فى هذه الحالة نحن أيضًا قضاة ظالمين .

وكذلك ارتُكبت فى هذا اليوم بعض الحماقات التى يمكن أن نعدها غريبة ، إذا كانت الحكمة ، وليست النزوة قد صارت الصفة المميزة الأبدية للجنيات .

وهكذا ، حكمت القدرة على جذب الحظ بطريقة مغناطيسية لصالح الوارث الوحيد لأسرة شديدة الثراء ، لم يكن يتصف بأى معنى من معانى الإحسان ، ولا حتى اشتهاء أى من خيرات الحياة الظاهرة ، سيجد نفسه فيما بعد ، على نحو خارق ، مرتبكا فى ملايينه .

كما أعطى حب الجمال والطاقة الشعرية إلى ابن بائس كئيب ، يحترف العمل فى محجر ، لم يكن يستطيع بأى طريقة أن يساعد هذه القدرات ، ولا أن يشبع حاجات ذريته التى يرثى لها .

لقد نسيت أن أقول لكم إن التوزيع فى هذه الحالات الاحتفالية يتم دون استئناف ، وأن كل منحة لايمكن أن ترفض .

وكانت الجنيات ينهضن وقد ظننت أن عملهن الإلزامى قد انتهى ، إذا لم تبق أى هدية أو هبة ليلقى بها إلى قليلى الأهمية من البشر حين وقف رجل طيب ، تاجر شاب فقير ، على ما أعتقد ، وقبض على ثوب الجنية ذى الأبخرة من كل الألوان ، التى كانت على مرأى منه ، وصرخ : « إيه يا سيدتى لقد نسيتنا ، يوجد صغيرى أيضا ، لا أريد أن يكون حضورى بلا جدوى » .

كان يمكن للجنية أن تشعر بالحرج إذ لم يتبق شىء ، ولكنها تذكرت في الوقت المناسب قانونًا معروفًا تمامًا بالرغم من أنه نادراً ما كان يطبق فى العالم فوق الطبيعى ، المسكون بتلك الآلهة غير الملموسة ، أصدقاء البشر الذين غالبا ما يضطرون إلى التكيف مع أهوائهم مثل الجنيات ، والعفاريت الصغيرة ، والسمندل [١] ، والسلف ، والسلفيدات [٢] ، والنكسات [٣] ، والأوندين و الأوندينات [٤] .

أقصد القانون الذى أعطى امتيازًا للجنيات فى حالة تشبه هذه ، أى حالة استنفاد الأنصبة ، هو القدرة التى تستطيع بها أن تمنح نصيبا إضافيا واستثنائيا بشرط أن يكون لها من الخيال ما يكفى لخلقه فى الحال .

(١) السمندل : دويبة زحافة تفرز مادة تطفئ بها النار .
(٢) السلف والسلفيدات : هم ذكور الجن وإناثه فى الأساطير السلتية .
(٣) النكسات : هى حوريات الماء فى الميثولوجيا الألمانية .
(٤) الأوندين والأوندينات : عرائس البحر فى الأساطير الألمانية .

وبناء عليه ، أجابت الجنية الطيبة فى اعتداد بالنفس جدير برتبتها : « إنى أعطى لابنك .. إنى له أعطى .. هبة الإعجاب » .

– « ولكن أى إعجاب ؟ .. إعجاب .. ؟ ولماذا الإعجاب ؟ »

هكذا سألها التاجر الصغير بعناد ، وكان لاشك من العقلاء العاديين جدا العاجزين عن الصعود إلى منطق اللامعقول : فأجابت الجنية مغضبة : « لأن .. لأن .. » وهى تعطيه ظهرها وتنضم إلى موكب رفيقاتها قائلة لهن : « ما رأيكن فى هذا الفرنسى الشاب المغرور الذى يريد أن يفهم كل شىء ، والذى يحصل لابنه على أعظم نصيب ، ويجرؤ على التساؤل ومناقشة مالايناقش ؟ »

الغوايات أو إيروس
بلوتوس والمجد

Les Tentationo Ou EROS

Plutus Et La Gloire

صعد شيطانان فاتنان وشيطانة لاتقل عنهما غرابة ، فى الليلة الماضية ، على السلم الغامض الذى يهجم منه الجحيم على وهن الرجل النائم ويتصل به سرا ، وقد جاءوا يتفاخرون فى صلف أمامى ، واقفين كأنهم على منبر ، تنبعث فخامة كبريتية من هذه الشخصيات الثلاث التى تتناقص هكذا مع قاع الليل المظلم ، وكان مظهرهم يوحى بالزهو البالغ والسيطرة العنيفة حتى ظننت ثلاثتهم للوهلة الأولى آلهة حقيقية .

كان وجه الشيطان الأول ينبئ عن جنس ملتبس ، كما كانت تبدو على خطوط جسده رخاوة أتباع باخوس القدماء ، وكانت عيناه الجميلتان الفاترتان اللتان كان لهما لون معتم مريب تشبهان بنفسجتين مازالتا مليئتين بدموع العاصفة الغزيرة ، وكانت شفتاه المنفرجتان مجمرتين حارتين تنبعث منهما الرائحة الزكية لمصنع عطور ، وفى كل مرة كان يتنهد ، كانت تضىء حشرات مُضمَّخة بالمسك ، مرفرفة من توهج أنفاسه .

وكان يتلف حول قميصه الأرجوانى كما يلتفت الحزام ثعبان لامع ، مرفوع الرأس ، وقد أدار نحوه فى خمول عينين من الجمر ، وكان معلقا بهذا الحزام الحى بالتناوب مع قوارير مليئة بمشروبات مشئومة ،

سكاكين لامعة وآلات للجراحة ، وفى يده اليمنى كان يمسك بقارورة أخرى كان محتواها أحمر مضيئا ، وكانت تحمل بطاقة مكتوبا عليها هذه الكلمات الغريبة : « اشربوا ، هذا دمي .. منعش تماما » وفى اليسرى كان يحمل كماناً كان يستخدمه دون شك فى غناء أفراحه وآلامه ، وفى نشر عدوى حماقته فى ليالى السبت (١) .

وكان يشد إلى كاحليه الرقيقين بعض الحلقات من سلسلة من الذهب المطروق ، وعندما اضطره الضيق الذى نتج عن ذلك إلى خفض عينيه إلى الأرض ، أخذ يتأمل فى غرور أظافر قدميه اللامعة المصقولة كأحجار متقنة الصنع .

ونظر إلّى بعينيه المثقلتين بحزن لا عزاء له ، واللتين كان يبدو عليهما سكر غامض ، وقال لى بصوت شادٍ : « إذا شئت أنت ، إذا شئت ، جعلتك سيد الأرواح ، وستكون سيد المادة الحية ، وأكثر قدرة على تشكيل الصلصال من النحات ، وستعرف المسرة التى لاتتوقف عن التجدد بخروجك من ذاتك ، ونسيانها فى الآخر ، بجذب الأرواح الأخرى حتى تمزجها بروحك » .

وأجبته « شكرا جزيلا ، لا أدرى ماذا سأفعل بهذه الكائنات الرخيصة التى لاتزيد فى قيمتها ولاشك عن قيمة ذاتى المسكينة ، مع أنى أخجل قليلا من تذكيرى فإنى لا أريد أن أنسى ، وفى الوقت نفسه ، أنا لم أتعرف عليك أيها الوحش العجوز ، وصناعة سكاكينك الغامضة ، وقواريرك المشبوهة ، والسلاسل التى تصفد بها قدميك ، هى رموز تفصح بوضوح كافٍ عن صعوبة صداقتك ، فاحتفظ بهداياك » .

(١) طبقًا لخرافة شعبية فى القرون الوسطى ، كان السحرة والأرواح الشريرة يقيمون احتفالاتهم ليلة السبت .

لم يكن الشيطان الثانى يملك ذلك المظهر المأسوى والباسم فى الوقت نفسه ، ولاتلك الطرق الناعمة الملتوية ، ولا ذلك الجمال الرقيق والمعطر ، لقد كان هذا رجلا ضخما ذا وجه كبير بلاعيون ، يتدلى بطنه الثقيل على فخديه ، وكل جلده مذهب ومزين بصور كالتى فى الوشم ذوات حشد من الوجوه الصغيرة المتحركة التى تمثل الأشكال المتعددة للبؤس الكونى ، كان يوجد بها بعض الرجال المهازيل الذين كانوا يتعلقون طواعية بمسمار ، وكان بها عفاريت صغيرة مشوهة نحيلة تطلب عيونها الضارعة الصدقة على نحو أفضل مما تفعله أيديها المرتعدة ، وكذلك أمهات عجائز يحملن أجنة مجهضة يتشبثون بأثدائهن المرهقة ، وكانت توجد رسوم أخرى كثيرة .

ضرب الشيطان الضخم على بطنه الهائل ، فخرجت منه حينذاك صلصلة معدنية مدوية ، انتهت بأنين غامض مؤلف من أصوات بشرية متعددة ، وضحك كاشفا فى وقاحة عن أسنانه الفاسدة ، ضحكة هائلة بلهاء كبعض الرجال فى كل بلاد العالم عند تناول عشاء فاخر .

وقد قال لى : « إنى أستطيع أن أمنحك ما يحصل على كل شىء ، وما يساوى كل شىء وما يعوض كل شىء » ، وضرب على بطنه الوحشية ، فرن الصدى صانعا تعليقا على كلامه الغليظ .

غيرت مجرى الحديث باشمئزاز وأجبته : « ليست بى حاجة إلى بؤس أحد لأصنع سعادتى ، لا أريد ثروة محزنة كورق الزينة ، ومثقلة بكل التعاسات الممثلة على جلدك » .

أما عن الشيطانة ، فإنى أكون كاذبًا لو لم أعترف بأنى وجدت لها عند النظرة الأولى سحرا غريبا ، ولتحديد هذا السحر ، لن أعرف كيف

أقارنه بشيء أفضل مما تملكه النساء رائعات الجمال اللاتى تقدم بهن العمر ، واللاتى لايهرمن أبدا رغم ذلك ، فالجمال فيهن يحتفظ بسحر الأطلال ، وكانت ذات كبرياء وفى الوقت نفسه تتخلع فى مشيتها ، وكانت عيناها رغم ما فيهما من إرهاق تحتويان على قوة جذابة أما ماراقنى أكثر ، فهو غموض صوتها الذى وجدت فيه ذكرى الرنين فائق اللذة ، وقليلا من بحة الصوت فى حناجر لا يتوقف اغتسالها بالنبيذ .

« أتريد أن تتعرف على قدرتى ؟ »

قالت الإلهة المزيفة بصوتها الساحر المليء بالمفارقة :

« اسمع » .

ونفخت حينذاك فى نفير ضخم مزين كمزمار بكل عناوين صحف العالم ، وعبر هذا النفير صرخت باسمى الذى دار هكذا عبر الفضاء بضجة مائة ألف من الرعود ، وصار يتردد بالصدى فى أبعد كوكب .

« يا للشيطان » .

قلت نصف مأخوذ : « هذا شيء قيم » ، ولكننى حين تفحصت بعناية هذه المغوية السليطة اللسان ، بدا لى على نحو مبهم أنى تعرفت عليها ، لأنى رأيتها تشرب نخبا مع بعض الأوغاد ممن أعرفهم ، وجلب الصوت النحاسى الخشن إلى أذنى ما لا أدرى من ذكرى نفير داعر .

وكذلك أجبتها بكل ازدراء : « إليك عنى ! فإنى لست مستعدا للزواج من عشيقة البعض ممن لا أريد تسميتهم » .

وبالطبع ، كان يحق لى أن أكون مزهوا بهذه التضحية الفائقة الشجاعة ، ولكنى لسوء الحظ ، صحوت من نومى ، وقد تخلت عنى كل قوتى ، قلت لنفسى : « فى الحقيقة لابد أن النوم قد استغرقنى بعمق لتحضرنى مثل هذه الوساوس ؟ آه .. لوكان فى الإمكان أن تعود ثانية وأنا مستيقظ ، فلن أبدى مثل هذا التمنع .

وأخذت أستدعيهم بأعلى صوت ، متوسلا إليهم أن يغفروا لى ، عارضا عليهم أن يلحقوا بى العار مرات كثيرة ، قدر ما ينبغى لأستحق أفضالهم ، ولكن لاشك أنى أسأت إليهم بشدة ، لأنهم لم يعودوا أبداً .

الغسق

Le Crepuscule Du Soir

ينحدر النهار ، ويتنزل سكون عميق على الأرواح المسكينة التى أرهقها العناء اليومى وتصطبغ أفكار الآن بألوان الغسق الرقيقة الغامضة .

ومع هذايصل إلى شرفتى ، من أعلى الجبل ، عبر غمائم المساء الشفافة عواء عارم ، يتألف من حشد الصرخات غير المتآلفة التى يحولها الفضاء إلى أصوات كئيبة متوافقة توافق الجزر والمد الصاعد ، أو توافق عاصفة تستيقظ .

أى تعساء لم يشملهم هدوء المساء ، والذين يتخذون ، كالبوم ، من مجىء الليل علامة على السبت ، يصلنا هذا العويل المشئوم من نذل أسود يجثم على الجبل .

وفى المساء ، حين أدخن وأتأمل سكون الوادى الهائل الذى يغص بمنازل تقول كل نافذة فيها : « هاهنا السلام الآن ، هاهنا فرح الأسرة » أستطيع حين تهب الرياح من أعلى أن أهدهد فكرى مندهشا من هذه المحاكاة لتوافقات الجحيم .

إن الغسق يثير الحمقى ، وإنى لأذكر أنه كان لى صديقان يصيبهما الغسق بالسقم ، فكان أحدهما يتنكر حينذاك لكل مبادئ الصداقة والسلوك المهذب ويسىء من يصادقه . لقد رأيته يلقى بدجاجة ممتازة على رأس رئيس خدم فندق ، لظنه أنه رأى فيها أى هيروغليفية مهينة " فالمساء نذير الشهوات العميقة ، كاد أن يفسد عليه الأشياء البالغة العذوبة " .

أما الآخر ، وكان طموحه مجروحا ، فكلما انحدر النهار ، ازداد حدة ، وكآبة ، وعنادا ؛ فهو متسامح واجتماعى أثناء النهار فإذا حل المساء ،

كان يستحيل عديم الشفقة ، يمارس فى غيظ جنونه الفسقى ، ليس على الآخرين وحدهم ، وإنما على نفسه أيضا .

وقد مات الأول مجنونا ، غير قادر أن يتعرف على زوجته وابنه ، أما الثانى ، فيحمل قلق انحراف المزاج الأبدى ، وحتى لو كوفئ بكل أنواع التشريف التى يمكن للجمهوريات والأمراء منحها له ، فإنى لأظن أن الغسق سيظل يشعل فيه الرغبة الحارقة فى التميزات الخيالية ، فالليل الذى كان يسكب ظلماته فى روحيهما كان يسكب الضوء فى روحى ، ومع أنه ليس من النادر أن نرى السبب نفسه يولد تأثيرين متناقضين ، فإن الليل كان دائما يثير فضولى وانتباهى .

أيها الليل ! أيتها الظلمات المنعشة ، إنك بالنسبة لى علامة على عيد داخلى . إنك الخلاص من القلق ! فى عزلة السهولة ، فى المتاهات الحجرية لأى عاصمة ، وتلألؤ النجوم ، وانفجار الفوانيس ، أنت السهام النارية لربة الحرية !

أيها الغسق كم أنت جميل ورقيق !

الومضات الوردية التى تنسحب على الأفق كاحتضار النهار تحت ضغط ليله المنتصر ، أضواء الشمعدانات التى تشكل بقعا حمراء معتمة على الأمجاد الأخيرة للغروب ، والملاءات الثقيلة التى تجذبها أيد خفية من أعماق الشرق مقلدة العواطف المعقدة التى تتصارع فى قلب الإنسان فى ساعات حياته الجليلة .

إنك تشبه كذلك ثوبا من هذه الثياب الغريبة للراقصات حيث يسمح النسيج الشفاف والمعتم باستشفاف المفاتن الكامنة عبر ثوب بهى كما يتجلى الماضى المزدهر من تحت السواد الراهن ، والنجوم الرفاقة من الذهب والفضة التى تمثل نيران الخيال التى تناثرت منها لاتشتعل تماما إلا خلال حداد الليل العميق !

العـــزلـــة

Le Solitude

يقول لى صحفى محب للبشر ، إن العزلة سيئة للإنسان ، وإثباتا لحجته يستشهد ككل المتشككين بأقوال آباء الكنيسة .

إنى أعرف أن الشيطان يتردد عن طيب خاطر على الأماكن القاحلة ، وأن روح القتل والشهوة تتوهج على نحو معجز فى الأماكن المنعزلة ، ولكن قد لاتشكل هذه العزلة خطورة إلا على النفوس العاطلة والشاردة التى تسكنها بعواطفها وأوهامها .

ومن المؤكد أن الثرثار الذى تكمن سعادته القصوى فى الحديث بصوت عال من فوق مقعد أو منصة ، معرض بشدة لأن يجن من الغضب فى جزيرة روبنسون ، ولست أطلب من محدثى الصحفى الفضائل الشجاعة التى كان يتحلى بها كروزو ، ولكنى أطالبه بألا يصدر قرارا بالاتهام ضد عشاق العزلة والغموض .

وفى أجناسنا التى تحب الثرثرة ثمة أفراد كانوا يقبلون أقصى العذاب بقدر قليل من النفور إذا سمح لهم بإلقاء خطبة عصماء من أعلى المنصة دون خوف من مقاطعة طبول السانتير لحديثهم فجأة .

إنى لا أشفق عليهم ، لأنى أدرك أن خطبهم المسهبة تمدهم ، بملذات تتساوى مع تلك التى يستمدها الآخرون من الصمت والتأمل ، ولكنى أحتقرهم .

إنى أرغب على نحو خاص فى أن يتركنى الصحفى الملعون أسلى نفسى بطريقتى فيقول لى بنبرة من الأنف تماماً كنبرة رجال الدين : « ألم تشعر إذن

أبدا بالحاجة إلى اقتسام المسرات ؟ » أترى هذا الحاسد الثاقب البصر ؟ .. إنه يعرف أننى أزدرى أفراحهم ، ويجىء ليُقحِم نفسه فى أفراحى ، معكر صفو الأعياد القبيح .

« إنه لسوء حظ عظيم ألا أستطيع البقاء وحدى » .

هذا ما قاله لابروييـر (١) فى مكان ما ، كأنه يريد أن يخزى كل هؤلاء الذين يلهثون وراء نسيان أنفسهم فى الزحام خائفين ولاريب من عدم استطاعتهم احتمال أنفسهم .

ويقول حكيم آخر هو باسكال على ما أظن : « إن جل مصائبنا جاءتنا تقريبا من عدم معرفتنا البقاء فى غرفتنا » .

ذاكراً هكذا داخل صومعة التأمل كل أولئك المفزوعين الذين يبحثون عن السعادة فى الحركة وفى العُهر الذى أستطيع أن أسميه أخويا ، إذا أردت الحديث بلغة عصرنا الجميلة !

(١) جان دى لابروييـر La Bruyere : كان نبيلا من نبلاء دوق بوربون ، وكاتبا أخلاقيا . أصدر كتاب الأخلاق ١٦٨٨ ، وهاجم ما فى المجتمع من صور الفساد وأرجعها إلى انحراف القلب البشرى لا إلى سوء النظام السياسى ، ودافع مع بوالو عن القدماء .

المشـروعـات

Les Projets

كان يقول لنفسه وهو يتنزه فى بستان كبير منعزل : « كم ستكون جميلة فى ملابس البلاط الملكى المعقدة الفخمة ، وهى تنزل ، عبر جو المساء الرائع ، درجات الرخام فى قصر يواجه مساحات من العشب وبرك الماء ، فهى تملك سمت الأميرات على نحو طبيعى » .

عند مروره فيما بعد فى شارع ، توقف أمام محل لعرض اللوحات ، وحين وجد ، على ورق مقوى ، صورة مطبوعة تمثل منظراً طبيعياً استوائيا ، قال لنفسه : « لا ، ليس فى قصر أود امتلاك حياتها العزيزة ، فلن نكون حينذاك فى بيتنا ، ومن جهة أخرى ، فإن هذه الجدران الموشاة بالذهب لن تترك مكانا لتعليق صورتها ، وفى هذه المتاحف الاحتفالية لايوجد ركن للحميمية ، وفى الحق أنه هناك تنبغى الإقامة لأزرع حلم حياتى » .

وبينما أخذ يتفحص تفاصيل اللوحة بعينيه استمر فى التفكير : « على شاطئ البحر ، كوخ جميل من الخشب تغلفه كل تلك الأشجار الغريبة واللامعة التى نسيت أسماءها ، وفى الجو رائحة مسكرة لايمكن تعريفها ، وفى الكوخ عطر قوى من الورد والمسك ... ، وعلى مبعدة خلف دارنا الصغيرة أطراف الصوارى تهتز بفعل الأمواج .. حولنا فيما وراء الغرفة المضاءة بضوء وردى تنخلة الستائر ، والمزينة بجدائل نضيرة ، وزهور ذات رائحة تدير الرأس ، بمقاعد نادرة من فن الروكوكو البرتغالى ، من خشب ثقيل ومعتم (حيث يمكنها أن تستريح غاية فى الهدوء ، معرضة تماماً للهواء ، تتنفس رائحة التبغ الممزوجة على نحو خفيف بالأفيون) ، فيما وراء عارضة السفينة كانت ضجة العصافير التى أسكرتها الأضواء وثرثرة الزنجيات الصغيرات .. والليل

يصحب أحلامى ، وغناء الأشجار الشاكى بنغمات موسيقية حزينة ، نعم إن هناك فى الواقع ، تلك الزينة التى أبحث عنها . فما حاجتى إلى قصر ؟ »

وفى مكان أبعد ، بينما كان يتابع سيره فى شارع كبير ، لمح فندقا بالغ النظافة ، حيث كان يطل رأسان ضحوكان ، من نافذة مبتهجة بستائر من القطن المنقوش ، ومزخرفة بألوان مختلفة ، فقال لنفسه على الفور : « لابد أن فكرى كان متشرداً كبيراً حتى يذهب بعيداً جداً للبحث عما هو قريب منى تماما ؛ فالمسرة والسعادة يكمنان فى أول فندق أقابله . فى فندق المصادفة ، الملىء بالشهوات ، نار عالية ، خزف باهر ، وعشاء طيب ، ونبيذ قوى ، وسرير بالغ الضخامة بملاءاته الخشنة شيئًا ما ، ولكنها نظيفة ، أهناك ما هو أفضل ؟ »

وعند عودته وحيدا إلى بيته فى هذه الساعة حيث لم تعد النصائح الحكيمة مسموعة بسبب طنين الحياة الخارجية ، قال لنفسه : « لقد امتلكت اليوم . فى الحلم ، ثلاثة مساكن ، وجدت فيها متعة متساوية . فلماذا أُكرِه جسدى على تغيير المكان إذا كانت روحى تسافر برشاقة فائقة ؟ وأى خير فى تنفيذ المشروعات إذا كان المشروع فى حد ذاته متعة كافية ؟ »

دوروثى الجميلة

La Belle Dorothee

الشمس ترهق المدينة بضوئها المستقيم والمرعب ، والرمل لامع ، والبحر متلألئ ، وقد سقط العالم مخدرا فى خسه ونام نومة القيلولة التى هو نوع من الموت اللذيذ حيث يتذوق النائم وهو نصف يقظان شهوات فنائه .

ومع هذا فإن دوروثى ، قوية ومزهوة كالشمس ، تتقدم فى الشارع المهجور ، وحيدة مفعمة بالحيوية ، فى هذه الساعة تحت اللازورد الهائل ، مكونة فى الضوء بقعة مضيئة سوداء .

إنها تتقدم وهى تؤرجح فى رخاوة جذعها المشوق على أردافها الكبيرة ، وثوبها الحريرى اللاصق ذو اللون الوردى الفاتح يبرز بشدة سواد بشرتها ، وينصب كالقالب على قوامها الفارع وظهرها الغائر وصدرها المدبب .

ومظلتها الحمراء التى تنخل الضوء ، تضفى على وجهها المعتم حمرة دموية من انعكاساتها .

وثقل شعرها الهائل المائل للزرقة يسحب رأسها الرقيق إلى الخلف معطيًا إياها مظهراً منتصراً وكسولا ، والجواهر الثقيلة المتدلية من قرطها تغرد سرا فى أذنيها الجميلتين .

ومن وقت لآخر ، ترفع نسمة البحر طرف تنورتها المتطايرة كاشفة عن ساقها اللامعة البهية ، وقدمها التى تشبه أقدام آلهة الرخام التى أغلقت أوروبا عليها متاحفها ، تطبع شكلها بأمانة على الرمل الناعم ، ودوروثى تحب التأنق على نحو معجز حتى أن متعة كونها مثيرة للإعجاب تطغى عندها على كبرياء التحرر ، ومع كونها حرة فهى تسير بلا حذاء .

تتقدم هكذا فى تناغم ، سعيدة بالحياة ، تبتسم ابتسامة بيضاء ، كما لو أنها لمحت بعيدا فى الفضاء مرآة تعكس مشيتها وجمالها .

وفى الساعة التى تئن فيها الكلاب أنفسها من الألم تحت وطأة الشمس الحارقة ، أى دافع قوى إذن يجعل دوروثى الكسول تسير هكذا جميلة وباردة كالبرونز ؟

لماذا تركت كوخها الصغير المرتب بأناقة شديدة ، الذى كونت فيه الزهور وجدائل الأشجار ، بتكلفة بسيطة جدا مخدعا كاملا ، حيث تستمتع بتمشيط شعرها ، وبالتدخين وبكشف جسدها للهواء ، أو بالنظر إلى نفسها فى المرآة ذات مراوح الريش الكبيرة ، فيما يقوم البحر الذى يضرب الشاطئ على بعد مائة خطوة من هناك ، بعقد صداقة قوية رتيبة مع أحلامها الغامضة ، وفيما القدرُ الحديدىّ حيث تنضج طبخة اليخنى من سرطانات البحر بالأرز والزعفران ، يرسل إليها من عمق الفناء روائحه المثيرة ؟

ربما كانت على موعد مع أحد الضباط الشباب الذى ، على شواطئ بعيدة ، سمع رفاقه يتحدثون عن دوروثى الشهيرة . وحتما سترجوه ، هى المخلوق البسيط ، أن يصف لها حفل الأوبرا الراقص ، وستسأله عما إذا كان فى مقدور المرء أن يذهب إليها عارى القدمين ، كما يحدث فى رقصات يوم الأحد ، حيث تصبح عجائز « كافرين » أنفسهن سكارى متفجرات بالفرح ، وكذلك ستسأله أيضا عما إذا كانت سيدات باريس الجميلات كلهن أكثر منها جمالا .

إن دوروثى يعجب بها الجميع ويدللونها . وكان يمكن أن تكون سعيدة ، على نحو كامل ، لو لم تكن مضطرة إلى وضع القرش فوق القرش لتعيد شراء أختها الصغيرة التى لا يزيد عمرها عن إحدى عشرة سنة ، والتى صارت بالفعل ناضجة وفائقة الحسن .

وستنجح دوروثى الطيبة ، دون ريب ، فإن سيد الطفلة بخيل جدا ، مفرط البخل ، حتى إنه لن يقدر جمالا آخر غير جمال الدراهم !

عيون الفقراء

Les Yeux Des Pauvres

آه ! إنك تريدين أن تعرفى لماذا أبغضك اليوم ، سيكون هذا دون شك ، أقل سهولة بالنسبة لك فى فهمه عنه وأنا أشرحه لك ، لأنك - فيما أظن - خير مثال على عدم التأثر الأنثوى يمكن مقابلته .

لقد قضينا معًا نهارًا طويلاً بدا لى قصيراً ، وتواعدنا أن تكون كل أفكارنا مشتركة بين الواحد والآخر ، وأن روحينا منذ ذلك الحين فصاعدا لن تكونا أكثر من روح واحدة ، وهذا حلم ليس بجديد ، على أية حال ، إن لم يكن هذا ما حلم به البشر جميعًا ، فما كان لأحد أن يحققه .

وفى المساء كنت متعبة قليلاً ، فأردت أن تجلسى أمام مقهى جديد يشكل ناصية شارع واسع جديد ... وكان مازال مليئا ببقايا الطوب ومستعرضا بالفعل بكل فخر فخامته التى لم تكتمل بعد ، كان المقهى يتلألأ ، وكان الغاز نفسه ينشر هناك توهج البداية ، ويضىء بكل قوته الجدران الساطعة بالبياض ، وصفحة المرايا التى تخطف الأبصار ، وذهب القضبان والطنف . كان صفاء السادة ذوو الخدود الممتلئة تسحبهم الكلاب وهم قابضون على أزمتها ، وكانت السيدات يضحكن لصقر يجثم على قبضة يدهم ، وحوريات البحر والإلهات يحملن على رؤوسهن الفاكهة والفطائر والصيد ، وكانت الهيبيات (١) والجانيميد (٢) يقدمون بالأذرع الممدودة آنية صغيرة من البافرواز (٣) أو من مسلة ثنائية اللون من المثلجات المختلفة الألوان ؛ فالتاريخ كله وعلم الأساطير كله كانا موضوعين فى خدمة النهم .

(١) *الهيبيات* Hebes : *إلهات الشباب فى الميثولوجيا الإغريقية* .

(٢) الجانيميد Ganymedes : سقاة الآلهة الذين اتخذهم زيوس .

(٣) البافرواز Bavaroise : نوع من الطعام يتكون من القشدة الإنجليزية والجيلاتين وله نكهة طيبة ، والكلمة تعنى طعام الآلهة .

وأمامنا مباشرة على الطريق المعّبد ، وقف رجل طيب ، في الأربعين من عمره ، بوجهه المتعب ، ولحيته التي وخطها الشيب ، ممسكا طفلا صغيراً بيد ، ويحمل على الذراع الأخرى كيانا صغيرا أضعف من أن يسير ، كان الرجل يقوم بوظيفة الخادمة ، يسحب أبناءه ليتنسموا هواء المساء ، كانوا جميعا في أسمال ، وكانت هذه الأوجه الثلاث جادة على نحو غير عادي ، وكانت هذه العيون الستة تتأمل المقهى الجديد في ثبات بإعجاب متساو يتدرج حسب السن .

كانت عيون الرجل تقول : « كم هو جميل ! يبدو أن ذهب العالم كله قد جاء لتحمله هذه الجدران ؟ ! » وكانت عيون الصبي الصغير تقول : « كم هو جميل ! كم هو جميل ! ولكن هذا منزل لايستطيع دخوله إلا بشر غيرنا » ، أما عيون الأصغر فقد كان انبهارها أكبر من أن يعبر إلا عن فرح ساذج وعميق .

يقول كتاب الأغاني إن المتعة تجعل الروح طيبة ، وترهف القلب ، وكانت الأغنية على حق ذلك المساء بالنسبة لي . فلم أرث لحال عائلة العيون هذه فحسب ، ولكني شعرت بشيء من الخزي من أقداحنا وقواريرنا ، فهي أكبر كثيرا من عطشنا ، وأدرت نظراتي إلى نظراتك ، ياحبي الغالي ، لأرى فيهما أفكاري ؛ فغرقت في عينيك الفائقتي الجمال والساحرتين على نحو غريب ، عينيك الخضراوين تسكنهما النزوة ويلهمهما القمر ، عندما قلت لي : « إني لا أحتمل هؤلاء الناس بعيونهم المفتوحة كبوابة العربات ، ألا تستطيع أن ترجو صاحب المقهى أن يبعدهم من هنا ؟ »

إلى هذا الحد ، يصعب أن نتفاهم ، ياملاكي الغالي ، إلى هذا الحد ، لايمكن تواصل الأفكار حتى بين المتحابين من الناس ؟

موت بطولى

Une Mort Heroique

كان فانسيول مهرجا جديرا بالإعجاب ، وكان تقريبا واحدا من أصدقاء الأمير ، ولكن بالنسبة للأشخاص المنذورين بطبعهم للفكاهة ، تتخذ الأشياء الجادة جاذبية قاتلة ، ومع أنه قد يبدو غريبا أن تستحوذ فكرة الوطن والحرية استحواذا طاغيا على عقل ممثل هذلى ، فإن فانسيول اشترك ذات يوم فى مؤامرة قام بها بعض النبلاء الغاضبين .

فى كل مكان يوجد فاعلو الخير الذين يبلغون السلطة عن هؤلاء الأفراد ذوى الفكاهة السوداء الذين يريدون عزل الأمراء ، وإجراء عملية تغيير المجتمع دون استشارته ، وقد أعتقِلَ السادة الذين نحن بصددهم ، مثل فانسيول وحكم عليه بالموت المؤكد .

كنت اعتقد عن طيب خاطر أن الأمير قد غضب تقريبا لوجود مضحكه المفضل بين المتمردين ، فالأمير لم يكن أفضل ولا أسوأ من الآخرين ، بل إن حساسيته المفرطة كانت تجعله فى كثير من الحالات أكثر قسوة وأشد طغيانا من نظرائه جميعا ، ولأنه عاشق موله للفنون الجميلة ، وخبير ممتاز من جهة أخرى ، فقد كان فى الواقع لايشبع من الشهوات ، ولعدم اكتراثه نسبيا بالبشر وبالأخلاق ، لأنه هو نفسه كان فنانا حقيقيًا ، فإنه لم يعرف من الأعداء الخطرين إلا الضجر ، وكانت الجهود الغريبة التى يبذلها ليهرب أو لينتصر على هذا الطاغية المسيطر على العالم ، ستجلب عليه فى عمل مؤرخ قاس نعت « *الوحش* » إذا كان مسموحا فى مجالاتهم ، بأن يكتبوا أعمالا لا تهدف فقط إلى المتعة

والدهشة ، وهذا أشد أشكال المتعة رقة .. وكان من سوء حظ الأمير أنه لم يكن أبدا مسرحا واسعا يكفى لعبقريته ، وهناك كثير من الشباب الذين يشبهون نيرون يختنقون فى أماكن بالغة الضيق سوف تجهل القرون القادمة دائمًا أسماءهم ونواياهم الطيبة ، لقد منحت العناية الإلهية غير المتبصرة لهؤلاء قدرات أعظم كثيرا من استطاعتهم .

وعلى حين غرة ، انتشرت شائعة بأن الحاكم يريد أن يمنح عفواً لكل المتهمين ، وكان أصل هذه الضجة هو الإعلان عن حفل كبير كان من المفترض أن يلعب فانسيول خلاله واحداًمن أفضل أدواره الرئيسية ، بل قيل ان النبلاء المدانين سيساعدونه في الوقت نفسه ، وهى علامة واضحة ، كما أردفت العقول السطحية على الميول الكريمة عند الأمير الغاضب .

كان كل شيء ممكنا ،بالنسبة لرجل على هذا القدر الطبيعى والإرادى من غرابة الأطوار ، حتى الفضيلة وحتى الرأفة ، ولاسيما إذا كأن يتعشم أن يجد في هذا متعًا غير متوقعة . أما بالنسبة للذين استطاعوا مثلى ، التغلغل بعيدا فى أعماق تلك النفس العجيبة والمريضة ، فمن المحتمل إلى أقصى حد أن يكون الأمير قد أراد أن يحكم على قيمة المواهب المسرحية عند رجل محكوم عليه بالموت ، أراد أن يستغل هذه الفرصة ليقوم بتجربة فسيولوجية ذات فائدة جوهرية ، وأن يتحقق من مدى قدرة الصفات المعتادة لفنان على أن تتغير ، وأن تتعدل حسب الموقف غير العادى الذى وجدت نفسها فيه .

وفيما عدا ذلك ، هل كانت بنفسه رغبة إلى حد ما فى الرزفة ؟ هذه نقطة لم يكن بالإمكان استيضاحها مطلقًا .

وأخيراً جاء اليوم العظيم ، فأظهر هذا البلاط الصغير كل أبهته وإن كان من الصعب ، إلا لمن رأى بنفسه ، أن يفهم كل ما تستطيع الطبقة المتميزة فى دولة صغيرة ذات موارد محدودة أن تستعرضه من الأبهة فى احتفال حقيقى - وكان هذا حقيقيا على نحو مضاعف . أولا ، لسحر البذخ المستعرَض ثم للفائدة الأخلاقية والغامضة التى ترتبط به .

كان السيد فانسيول بارعًا بصفة خاصة فى الأدوار الصامتة أو المحملة بكلام قليل ، والتى كانت فى الغالب أدوارًا رئيسية فى المسرحيات الخلابة التى يمثل موضوعها سر الحياة على نحو رمزى ، فدخل إلى المسرح برشاقة وبسهولة كاملة ، مما ساهم فى تدعيم فكرة العذوبة والعفو عن جمهور النبلاء .

حين يقال عن ممثل فكاهى : « هذا ممثل جيد » فإن المرء يستخدم صيغة تعنى ضمنًا أن تحت الشخصية مازال يمكن التكهن بوجود الممثل ، بمعنى الفن ، والمجهود ، والإرادة ، ولكن عندما يصل الممثل الفكاهى إلى ذروته فإن هذا يعود نسبيًا إلى الشخصية التى كُلِّف بالتعبير عنها ، ذلك أن أروع التماثيل القديمة التى تبدو نشيطة ، حية ، متحركة ، متبصرة على نحو معجز ، كان يرجع أساسًا إلى الفكرة العامة للجمال ، فهذا دون شك سيكون حالة فريدة وغير متوقعة تمامًا .

لقد كان فانسيول ، ذلك المساء ، تجسيداً تامًا للكمال ، حتى صار من المستحيل ألا نعده حيا ، ممكنا ، حقيقيا ، فلقد كان هذا المهرج يذهب ، ويجىء ، ويضحك ، ويبكى، ويختلج ، وحول رأسه هالة لا تفنى ، هالة لايراها الجميع ولكنى أراها ، حيث امتزجت فى اندماج غريب أشعة الفن بمجد الشهيد ، كان فانسيول يقدم ببراعة خاصة ، لا أدرى مصدرها المقدس ، وما فوق الطبيعى ، حتى فى أكثر الأضاحيك إفراطا

فى الغرابة ، إن قلمى ليرتعش ، وتتصاعد الدموع إلى عينى من عاطفة تحضرنى دائمًا فيما أبحث لكم عن وصف لذلك المساء الذى لاينسى .
لقد أثبت لى فانسيول بطريقة قاطعة ، لايمكن دحضها أن سكر الفن أقدر من كل ما عداه على أن يحجب مخاوف الهاوية، وأن العبقرية قادرة على أداء الفكاهة على شفا القبر ، بفرح يمنعها من رؤية القبر ، سادرة كما هى ، فى فردوس مستبعدٍ لكل فكرة عن القبر والفناء .

سرعان ما وقع كل هذا الجمهور أيا كان لامباليا وسطحيا ، تحت تأثير سطوة الفنان البالغة القوة ، ولم يعد أحد يحلم بالموت والحداد ، ولابالعذاب ، وترك كل منهم نفسه ، دون قلق ، للشهوات المتعددة التى تمنحها رواية الروائع الفنية ، وزلزلت انفجارات الفرح والإعجاب المرة تلو الأخرى قباب الصرح بحيوية الرعد المستمر ، حتى الأمير نفسه ، مزج تصفيقه بتصفيق بلاطه .

غير أن سكره هو لم يكن خالصا غير ممتزج بمشاعر أخرى ولم يكن هذا ليغيب عن العين البصيرة ؛ فهل شعر بهزيمة سلطته كطاغية ؟ وبأنه أُخْزِى فى فنه وقدرته على إثارة الذعر فى القلوب وتخدير العقول ؟ وأن أماله قد خابت ، وتمت السخرية من تنبؤاته ؟ مثل هذه الافتراضات غير المبررة وإن لم يكن من المستحيل تبريرها ، مرت بخاطرى فيما كنت أتأمل وجه الأمير الذى يتراكم شحوب جديد ، دون توقف ، إلى شحوبه المعتاد ، كما يتراكم الثلج على الثلج ، وكان يزُم شفتيه أكثر فأكثر ، وعيناه تلتمعان بنار داخلية تشبه نار الغيرة والضغينة حتى أثناء تصفيقه بصورة متفضلة لمواهب صديقه القديم ، المهرج الغريب الذى سخر بالموت سخرية مريرة ، وفى لحظة معينة ، رأيت صاحب السمو ينحنى على وصيف صغير كان يقف خلفه ، وهمس فى أذنه فانفجرت سحنة العفريت فى هذا الطفل الوسيم عن ابتسامة ، ثم غادر المقصورة

الأميرية بحيوية كما لو كان مكلفا بمهمة عاجلة .

وبعد بضع دقائق ، انطلقت صفارة حادة طويلة ، قاطعت فانسيول في واحدة من أفضل لحظاته ومزقت الآذان والقلوب فى الوقت نفسه ، وفى المكان من القاعة الذي انطلق منه هذا الاستنكار غير المتوقع اندفع طفل يسير فى ممر بضحكات مكتومة .

انتفض فانسيول ، مستيقظًا من حلمه ، وأغمض عينيه أولا ، ثم عاد ففتحهما تقريبا فى الحال ، وقد اتسعتا بصورة غير مألوفة ثم فغرفاه كأنه يتنفس متشنجًا ، وترنح قليلا إلى الأمام ، وقليلا إلى الخلف ، ثم سقط ميتًا على خشبة المسرح .

هل خيبت الصفارة السريعة كالسيف أمل الجلاد حقًا ؟ هل تنبأ الأمير نفسه بالتأثير القاتل لدهائه ؟ هذا مسموح بالشك فيه ، هل حزن على عزيزه فانسيول الذى لايمكن تقليده ؟ إنه جميل وشرعى أن نصدق هذا .

أما النبلاء المذنبون فقد استمتعوا للمرة الأخيرة بعرض الفكاهة ، وفى الليلة نفسها مُسحوا من الحياة .

ومنذ ذلك الحين ، جاء ممثلون صامتون كثيرون ينالون التقدير العادل فى مختلف البلاد ليمثلوا أمام بلاط الأمير ، ولكن أحدا منهم لم يُذكرنا بمواهب فانسيول المدهشة ولم يرتفع أحد إلى مستوى فضله !

العملة الزائفة

La Fausse Monnaie

بينما كنا نبتعد عن متجر لبيع التبغ ، قام صديقى بفرز دقيق لنقوده ودس فى جيب صداره الأيسر قطع الذهب الصغيرة ، وفى الأيمن قطع الفضة الصغيرة ، وفى جيب سرواله وضع مجموعة كبيرة من قطع الفكة ، وأخيرا وضع فى جيبه الأيمن قطعة نقود من فئة الفرنكين ، كان قد فحصها على نحو خاص .

قلت لنفسى : " هذا تقسيم فريد ودقيق " .

ثم قابلْنا فقيرا كان يمد قلنسوته إلينا مرتعدا ، لم أعرف شيئا أكثر إقلاقا من الفصاحة الصامتة فى هاتين العينين المستجديتين اللتين تحويان ، فى الوقت نفسه ، للإنسان الحساس الذى يستطيع أن يقرأ فيهما ، قدرا من التواضع وقدرا من اللوم ، ويجد فيهما شيئًا مايقترب من عمق العاطفة المعقدة فى العيون الدامعة للكلاب عند ضربها بالسياط .

وقد كانت الصدقة التى أعطاها إياه صديقى أكبر بكثير من صدقتى ؛ فقلت له : " أنت على حق ، فمتعة الإحساس بالدهشة لايفوقها إلا متعة إثارة الدهشة " أجابنى بهدوء كأنه يبرر إسرافه : « لقد كانت تلك هى القطعة الزائفة » .

ولكن ، داخل عقلى البائس الذى ينشغل دائما بالبحث عن منتصف النهار فى الساعة الرابعة عشر (أى صفة مرهقة أهدتنى إياها الطبيعة) لمعت هذه الفكرة فجأة ، أن سلوكا مماثلا من جانب صديقى ماكان

يمكن تبريره إلا بالرغبة فى خلق حادثة فى حياة هذا الشيطان الفقير ، وربما كذلك لمعرفة النتائج المختلفة ، مشئومة أو غير مشئومة ، التى يمكن أن تسببها قطعة زائفة فى يد متسول . ألا يمكن أن تتكاثر بقطع حقيقة ؟ ألا يمكن أن تقوده أيضا إلى السجن ؟ فربما أبلغ عنه صاحب ملهى أو خباز ، على سبيل المثال ، على أنه مزيفُ للنقود ، أو مروجُ لعملات زائفة . كما أن القطعة الزائفة يمكن أن تصبح ، بالنسبة لمضارب شاب فقير فى بورصة ، نواة لثروة فى بضعة أيام ، وهكذا ، أخذ خيالى مجراه ، مقترضا أجنحة عقل صديقى ، ومستخرجا كل النتائج الممكنة من كل الفرضيات الممكنة .

ولكن صديقى مزق أحلامى فجأة وهو يسترجع كلماتى نفسها : " نعم ، أنت على حق فليس هناك ما يمنح سعادة أكثر جمالاً من مفاجأة إنسان بإعطائه أكثر مما يحلم به " .

ورحت أنظر إليه فى بياض عينيه ، فشعرت بالرعب لرؤيتى عينية تلتمعان ببراءة لاجدال فيها ، ورأيت حينئذ بوضوح أنه كان يريد تقديم الإحسان وعقد صفقة رابحة فى الوقت ذاته ، ليكتسب أربعين فلسا وقلب الله ، ويحصل على الفردوس بسعر اقتصادى . وأخيراً ، يقتنص مجانا شهادة بأنه محسن ، كنت سأغفر له تقريبا رغبته فى الفرح الآثم الذى كنت سأفترض بعد قليل أنه قادر عليه ، وربما وجدت من العجيب والغريب أنه تسلى بتعريض الفقراء للخطر ، ولكنى لن أغفر له أبدا غباء حسابه ، فليس يغفر للمرء مطلقا كونه شرير ، ولكن هناك مزية فى معرفة أن المرء كذلك .

إن أكثر الرذائل عدم قابلية للإصلاح هو أن تعمل الشر فى حماقة !

اللاعب الكريم

Le Joueur Genereux

شعرتُ بالأمس خلال زحام الشارع الكبير أن كائنا يحتكُّ بى دائما أرغب فى معرفته ، وقد تعرفت عليه فى الحال رغم أنى لم أره مطلقا ، وقد كانت لديه ، دون ريب ، رغبة مماثلة تجاهى نسبيا ، لأنه غمز لى بطرفه ، عند مروره ، غمزة ذات مغزى ، أسرعت على إثرها فى إطاعته ، وتبعته فى انتباه ، وبعد قليل ، نزلت خلفه إلى مسكن رائع تحت الأرض حيث كان يشرق ببذخ لايمكن لأى من المنازل الممتازة فى باريس تقديم مثال يقترب منه ، وقد بدا لى غريبا أننى كنت أمر بجانب هذا المأوى المهيب مرات كثيرة دون أن أتكهن بمدخله ، وكان يسود هناك جو رائع رغم أنه يدير الرأس ، جعلنى أنسى تقريبا على الفور كل مخاوف الحياة المملة . هناك كان المرء يتنفس سعادة أبدية معتمة ، تشبه التى لابد يشعر بها آكلو اللوتس وهم يهبطون جزيرة خلابة ، تضيؤها ومضات ظهيرة سرمدية ، حيث يشعرون برغبة تولَد فيهم ، من الأصوات الغافية للشلالات الشادية ، فى ألا يلتقوا أبدا بآلهة بيوتهم : زوجاتهم وأطفالهم ، وألا يعودوا أبدا لركوب أمواج البحر العالية .

كانت هناك وجوه غريبة لرجال ونساء ، تتميز بجمال قاتل ، حتى خيل إلىَّ أنى رأيتها من قبل فى عصور وبلاد يستحيل علىّ تذكرها تماما ، وقد ألهمتنى تعاطفا أخويا وليس الخوف الذى يولد على نحو عادى عند رؤية الغريب : فإذا أردت محاولة تحديد التعبير الفريد لنظراتها ، بأى طريقة كانت ، فإنى سأقول إنى لم أرَ مطلقا عيونا لامعة أكثر نشاطا فى خوفها من الضجر ، وفى رغبتها الخالدة فى الإحساس بالحياة من هذه العيون .

صرْنا مضيفي وأنا ، بالفعل ، عند جلوسنا صديقين قديمين حميمين ، أكلنا وشربنا بإفراط كل أنواع الخمور غير العادية ، والشيء الذي لايقل عن هذا غرابة أنه بدا لي ، بعد عدة ساعات ، أنني لم أكن أزيد عنه سكراً ، غير أن اللعب ، ذلك الفرح فوق الإنساني كان يقطع ، خلال فترات متنوعة إفراطنا الدائم في الشراب ، وينبغي القول أنني لعبت وفقدت روحي التي كانت لاتزل مرتبطة نوعًا بي ، باستهتار ولامبالاة بطوليتين . إن الروح شيء غير ملموس ، وكثيرا مايكون غير مفيد ، وأحيانًا شديد الإزعاج حتى إني لم أقاس فيما يتعلق بهذه الخسارة إلا قليلا من الانفعال كالذي أشعر به حين أفقد ، في نزهة . خريطة زيارتي .

ودخّنّا طويلا بعض السيجار الذي كانت نكهته ورائحته لامثيل لهما ، كانتا تملآن الروح بالحنين إلى أوطان ومسرات مجهولة ، ولأننا سكرنا بكل هذه الملذات ، تجرأت في نوبة ألفة لم يُظهر ضيقه بها ، وهتفت صائحا وقد استحوذت عليّ كأس مملوءة حتى الحافة : « في صحتك السرمدية أيها التيس العجوز ! »

وتحدثنا كذلك عن الكون ، عن خلقه ، وعن فنائه المستقبلي عن الفكرة العظيمة التي سادت القرن ، بمعنى التقدم وقابلية الاكتمال ، وبصفة عامة ، عن كل أشكال الغرور البشري ، وعن هذا الموضوع فإن صاحب السمو لم ينص له معين من السخرية الخفيفة التي لاتدحض ، وعبر لي عنها بعذوية إلقائه وبهدوء طرافته التي لم أجدها عند أيٍّ من متحدثي البشرية الأكثر شهرة ، وشرح لي سموه عبثية الفلسفات المختلفة التي سيطرت على العقل البشري حتى الوقت الحاضر ، بل تفضل فكشف لي سر بعض المبادئ الأساسية التي لايليق بي أن أشترك

فى فوائدها وامتلاكها مع أى شخص كان ، وسموه لايشكو من السمعة السيئة التى يتمتع بها فى كل أنحاء العالم ، وأكد لى أنه هو نفسه الشخصية الأكثر اهتماماً بتدمير الخرافة واعترف لى بأنه لم يشعر بالخوف نسبيا على سلطته الشخصية إلا مرة واحدة .

كان ذلك يوم استمع إلى واعظ أكثر لماعية من كل زملائه يصيح على منبر : «إخوانى الأعزاء لاتنسوا أبدا عندما تسمعون الإشادة بتقديم التنوير أن أكثر خدع الشيطان جمالا هو إقناعكم بأنه لا وجود له» .

وعلى نحو طبيعى ، قادتنا ذكرى هذا الخطيب الشهير إلى موضوع الأكاديميات ، وأكد لى نديمى الغريب أنه لم يزدر، فى كثير من الحالات ، إلهام ضمير علماء التربية وقلمهم وكلامهم ، وأنه كان يساعد بشخصه تقريبا على الدوام فى كل الجلسات الأكاديمية رغم أنه كان غير مرئى .

ولما شجعنى هذا القدر من الطيبة ، سألته عن أخبار الإله ، وعما إذا كان قد رآه مؤخرا ، فأجابنى فى لا مبالاة يشوبها حزن ما : « نحن نتبادل التحية عند لقائنا ، ولكن كنبيلين قديمين لايمكن لتهذيبها الفطرى أن يطفئ تماماً ذكرى الأحقاد القديمة » .

ومن المشكوك فيه أن يكون صاحب السمو قد منح مقابلة طويلة كهذه أبدا لإنسان بسيط فان ، وكنت أخاف أن أكون قد أفرطت فى استغلالها ، وأخيرا ، عندما أضاء الفجر المرتعش الزجاج ، قالت لى هذه الشخصية الشهيرة التى تغنى بها كثير من الشعراء ، وخدمها الفلاسفة الذين يعملون من أجل مجدها دون أن يعرفوها : « أريد أن تحتفظ منى بذكرى جميلة ، وأن أثبت لك ، أنا الذى يتحدث عنه الناس بكثير من السوء ، إننى أحيانا ما أكون شيطانا طيبا ، حتى تخدمنى

بإحدى عباراتك المبتذلة ؛ فلكى تعوض الخسارة التى منيت بها روحك ، والتى لايمكن شفاؤها فإنى سأمنحك الرهان الذى كنت ستكسبه إذا كان الحظ قد حالفك ، أعنى القدرة مدى الحياة على مداواة داء الضجر الغريب والتغلب عليه ، هذا الداء الذى هو مصدر كل أمراضكم ، وكل تقدمكم البائس ، ولن تتولد لديك رغبة أبدا إلا ساعدتك على تحقيقها ، وستسيطر على كل أمثالك من السوقة ، وستكون أهدفا للنفاق والإعجاب فى الوقت نفسه ، وستأتى الفضة والذهب واللآلئ والقصور الساحرة باحثة عنك ، ترجوك أن تقبلها ، دون أن تكون قد بذلت أى جهد فى اكتسابها ، وستغير من الأوطان والأقطار ماسيمليه عليك خيالك ، وستسكر من الشهوات دون إعياء ، فى بلاد خلابة ، حيث الجو حار دائما ، وحيث ينبعث العطر من النساء كما ينبعث من الأزهار ... إلخ ، أضاف ذلك وهو ينهض صارفًا إياى بابتسامة ساحرة .

لولا خشيتى أن أحط من شأنه أمام هذا الحشد الكبير لسقطت بملء إرادتى على قدمىْ هذا اللاعبِ الكريم لأقدم له الشكر على سخائه الذى لامثيل له ، ولكن شيئا فشيئًا بعد أن تركته تسربت إلى صدرى ريبة لاتشفى ، ولم أجرؤ على تصديق هذه السعادة الخارقة ، وعند نومى وأنا أرتل صلاتى بما بقى لى من عادة بلهاء ، رحت أردد نصف نائم : « يا إلهى ، ياسيدى ، ياربى ، اجعل الشيطان يفى بما وعدنى فى كلامه

الحبـــــل

La Corde

(إلى إدوار مانيه) (١)

كان صديقي يقول لي : « إن الأوهام لاتحصى ، وربما كانت بنفس قدر العلاقات بين الناس ، أو بين الناس والأشياء ، وعندما تختفي الأوهام ، أي عندما نرى الوجود أو الواقع كما هو موجود خارج أنفسنا نحس شعورا غريبا معقدا نصفه أسف لاختفاء الطيف ونصفه دهشة سارة أمام الجديد ، أمام الواقع الحقيقي ، فإذا كان هناك ظاهرة واضحة مسلم بها ، متشابهة دائما ، وذات طبيعة في ذاتها من المستحيل أن نخطئها ، فهي الحب الأموي ؛ فمن الصعب أن نفترض أما دون حبٍ أموي مثلما يصعب تخيل الضوء دون حرارة ، أليس هذا مشروعًا تمامًا أن نعزو إلى الحب الأموي كل أفعال الأم وأقوالها التي تتعلق بطفلها ؟ ومع ذلك استمعوا إلى هذه القصة الصغيرة التي خدعت فيها على نحو خاص بأكثر الأوهام طبيعية : « تدفعني مهنتي ، مهنة الرسم إلى النظر في انتباه إلى الوجوه والملامح التي تعترض طريقي ، وتعرفون مدى المتعة التي نستمدها من هذه الصفة التي تجعل الحياة في نظرنا أكثر حيوية ، وأعمق معنى مما هي عند غيرنا من البشر ؛ ففي الحي البعيد الذي أسكنه ، حيث توجد مساحات واسعة من العشب ، ماتزال تفصل المباني عن بعضها ، كنت غالبا ما ألاحظ طفلا كانت

(١) رسام فرنسي كبير (١٨٣٢ - ١٨٨٣) هو المؤسس الأول للحركة الانطباعية في فرنسا ، وهو الراوي في القصيدة .

ملامحة متوهجة وشيطانية تروقني في البداية أكثر من كل زملائه ، ولقد وقف أمامي كنموذج أكثر من مرة وحولته تارة إلى بوهيمي صغير وتارة إلى ملاك ، أو إله للحب الأسطوري ، وجعلته يحمل كمان المتشرد ، وتاج الشوك ، ومسامير الآلام ومشعل إيروس . أستمد أخيرا من فكاهة هذا الولد العفويت سعادة بالغة ، حتى أني ذات يوم ، رجوت والديه ، وهما فقيران ، أن يتنازلا لي عنه واعداً أن أكسوه جيداً ، وأعطيه بعض المال ، وألا أفرض عليه مشقة أخرى إلا تنظيف فرش الألوان ، وشراء حاجياتي وصار هذا الطفل ، بعد اغتساله ، فاتنا ، وبدت الحياة التي يعيشها عندي في نظره فردوسا بالمقارنة بالحياة التي كان سيقاسيها في الكوخ الأبوي ، فقط ينبغي القول إن هذا الصبي أدهشني أحيانا بنوبات حزن غريبة سابقة لأوانها . وإنه كان يبدي ميلا غير معتدل إلى السكر والخمور ، حتى إني تحققت ذات يوم ، بالرغم من تحذيراتي الكثيرة ، أنه ارتكب سرقة جديدة من هذا النوع ، فهددته بأني سأعيده إلى أبويه ، ثم خرجت واضطرتني شئوني إلى البقاء طويلا خارج بيتي .

« لن تتصور مدى رعبي ودهشتي عندما عدت إلى البيت فكان أول شيء لفت نظري هو أن الصبي الصغير ، رفيق حياتي الشقي ، كان يتدلى من باب خزانة الملابس مشنوقا ، وكانت قدماه تلامسان الأرضية تقريبا ، وكان أحد الكراسي الذي دفعه برجله دون شك ، مقلوبا بجانبه ، وكانت رأسه مائلة في تشنج على أحد كتفيه ، وكان وجهه متورما ، وعيناه واسعتين مفتوحتين تحدقان على نحو مرعب جعلني أتوهم في البداية أنه مازال حيا ، ولم يكن إنزاله عملا بالسهولة التي قد تظنون ؛ فقد كان بالفعل متصلبا تماما ، وداخلني نفور لايفسر لفكرة إسقاطه فجأة على الأرض .

كان ينبغي أن أسند جسده كله بذراع وبيد الذراع الأخرى أقطع الحبل ، ولكن هذا العمل لم ينتبه بإتمامي تلك المهمة فإن الوحش الصغير قد استخدم خيطا رفيعا للغاية غاص بعمق في لحمه ، وكان ينبغي الآن

أن أبحث بمقص دقيق عن الحبل بين حلقتى الورم حتى أخلص رقبته .

« نسيت أن أقول إننى ناديت بكل قوة طلبا للعون ، ولكن كل جيرانى رفضوا أن يحضروا لمساعدتى ، مخلصين فى ذلك لعادات الرجل المتحضر الذى لايريد ، لا أعرف لماذا ، أن يقحم نفسه فى شئون مشنوق ، وأخيراً ، جاء طبيب ، وأوضح أن الطفل قد مات منذ عدة ساعات ، وفيما بعد حينما آن أوان خلع ملابسه لتكفينه كانت الجثة متصلبة إلى حد يئسنا معه أن نثنى الأعضاء ، فكان لابد أن ننزع ونمزق ملابسه لنخلصها .

" كان من الطبيعى أن أقص الحادثة على مفتش الشرطة ، فنظر إلىّ شذرا وقال : « هذا أمر مثير للشبهة » مدفوعا دون شك برغبة أصيلة وبعادة فى الأحوال لنشر الخوف ، بصورة عشوائية عند الأبرياء والمذنبين على السواء .

« بقيت نقطة كبرى لابد من إنجازها ، سببت لى فكرتها وحدها قلقا مخيفا ؛ إذ كان لابد من إبلاغ الولدين ، كان قدماى يرفضان أن يقودانى إليهما . وأخيراً ، جاءتنى الشجاعة ، ولكن لدهشتى البالغة ، كانت الأم باردة الأعصاب لم تنزل دمعة من طرف عينها ، وكنت أعزو هذه الغرابة إلى اللوعة التى لابد أنها تعانيها ، وتذكرت الجملة المعروفة « إن الآلام العظيمة ، هى الآلام الخرساء » أما الأب فقد اكتفى بقوله بمظهر نصف متبلد ونصف حالم : « عموماً ، ربما كان هذا أفضل ، فقد كان سينتهى نهاية سيئة على كل حال » .

وفى هذه الأثناء ، كانت الجثة ممددة على أريكتى ، وكانت تساعدنى خادمة خلال انشغالى بالاستعدادات الأخيرة ، عندما دخلت الأم إلى مرسمى ، وقالت إنها تريد أن ترى جثة ابنها ، لم أكن أستطيع فى الواقع أن أمنعها من أن تسكر بمحنتها ، وأن أرفض لها هذا العزاء الرائع المعتم ، وبعد ذلك توسلت إلى أن أشير لها على المكان الذى كان

صغيرها مشنوقا فيه ، فأجبتها : « لا ياسيدتى .. إن هذا سيسوءك » ، وعندما درت بعينى لا إراديا إلى الخزانة المشئومة ، لمحت فى تقزز ممزوج بالرعب والألم أن المسمار مازال مغروسا فى الحاجز يتدلى منه طرف حبل طويل ، فاندفعت بحيوية لنزع الآثار الأخيرة للكارثة وعندما ذهبت لإلقائها من النافذة المفتوحة أمسكت المرأة المسكينة بذراعى وقالت بصوت لايقاوم : « آه يا سيدى .. دع لى هذا، .. أرجوك ، اتوسل إليك » ويدا لى أن بأسها قد ملأها فزعا إلي حد جعلها تشعر بالرقة نحو الآداة المستخدمة فى قتل ابنها ، وكانت ترغب فى حفظها كبقايا مرعبة غالية ، واخذت المسمار والخيط .

وأخيرا ، أخيرا ، كان كل شىء قد انتهى ، ولم يبق إلا ان أعود إلى العمل ، أكثر حيوية من المعتاد ، لأطرد شيئا فشيئا هذه الجثة الصغيرة التى تزور طوايا عقلى والتى أرهقنى طيفها بعينيه الواسعتين الثابتتين ، ولكنى ، فى اليوم التالى ، تسلمت حزمة من الخطابات ، بعضها من سكان منزلى ، وبعضها الآخر من المنازل المجاورة ، أحدهما من الدور الأول وثانيها من الثانى ، وآخر من الثالث ، وهكذا تباعا ، البعض منها بأسلوب نصف ساخر كأنه يحاول أن يخفى تحت قناع مزاح ظاهرى جدية الطلب ، وبعضها الآخر وقح على نحو ثقيل وبه أخطاء هجائية ، ولكنها تهدف جميعا إلى الغرض نفسه أى أن تحصل منى على قطعة من الحبل المشئوم المبارك .

لابد أن اقول أن عدد توقيعات النساء كان أكثر من الرجال ، ولكن صدقونى جميعاً ، لم يكن أحد منهم ينتمى إلى الطبقة الدنيا أو طبقة العوام ، لقد احتفظت بهذه الخطابات .

« وحينئذ ، لمعت ومضة فى ذهنى ، على حين غرة ، وفهمت لماذا أصرت المرأة على انتزاع الخيط منى ، وبأى تجارة كانت تنوى أن تتعزى» .

الدعـــوات

Les Vocatios

فى حديقة جميلة ، حيث بدت أشعة شمس الخريف وكأنها تتريث كما يطيب لها تحت سماء تميل إلى الخضرة ، تعوم فيها سحابات ذهبية كقارات مرتحلة ، كان أربعة أطفال وسام ، أربعة صبية ، وقد سئموا من اللعب لاشك ، يتبادلون الحديث .

كان أحدهم يقول : « ذهبت مع شخص إلى مسرح بالأمس ، فى قصور كبيرة وحزينة يرى المرء فى عمقها البحر والسماء ، ورجالا ونساء جادين وحزانى أيضا ، ولكنهم أكثر جمالا وأفضل ملبسا من أولئك الذين نراهم فى كل مكان ، يتحدثون بصوت شادٍ . إنهم يهددون بعضهم ، ويتوسلون ، ويحزنون ويضغطون بأيديهم غالبا على خناجر مغروزة فى أحزمتهم .

آه .. هذا جميل جداً ! والنساء أجمل وأعظم بكثير من النساء اللاتى يأتين لرؤيتنا فى المنازل ، وبالرغم من عيونهن الواسعة العميقة وخدودهن الملتهبة ؛ فقد كان لهن مظهر مخيف ، ومع هذا لايستطيع المرء أن يمنع نفسه من حبهن ، ومع أن المرء يخاف وتتولد لديه رغبة فى البكاء فإنه يكون راضيا ، وحينئذ ، وهذا ماهو أغرب ، يمنحه هذا رغبة فى أن يرتدى الملابس نفسها ، وأن يقول وأن يفعل الأشياء نفسها ، وأن يتحدث بالصوت نفسه » .

وكان أحد الأطفال الأربعة لايصغى لحديث رفاقه منذ بضع ثوان ، كان يلاحظ فى ثبات مدهش لا أدرى أى نقطة فى السماء ، وقال فجأة : « انظروا .. انظروا هناك .. هل ترونه ؟ إنه يجلس على هذه السحابة الصغيرة المنعزلة هذه السحابة الصغيرة الحمراء التى تسير فى رفق ، كما لو كان يرانا هو أيضا » .

وتساءل الآخرون : « ولكن .. من هو إذن ؟ » فأجاب فى لهجة اقتناع كامل : « الله !.. إنه الآن يبتعد كثيرا ، لن تستطيعوا رؤيته بعد قليل . إنه يسافر بلاشك ليزور كل البلاد . انظروا ، إنه سيمر خلف هذا الصف من الأشجار الذى يبدو تقريبا فى الأفق ، والآن فإنه ينزل وراء برج الجرس ، آه لن يعود أحد يراه » ، وظل الطفل ملتفتا مدة طويلة إلى الجهة نفسها ، مثبتا عينيه على الخط الفاصل بين الأرض والسماء ، وقد لمع فيهما تعبير لايفسر من النشوة والأسف .

وحينذاك قال الثالث الذى تميز شخصه الصغير بحمية وحيوية غريبتين : « أهو غبى ذلك الفتى هناك ، مع إلهه الطيب الذى يستطيع وحده أن يلمحه ؟ ؛ »

« سأقص عليكم ما حدث لى ولم يحدث قط لكم ، وهو أمتع قليلاً من مسرحكم ومن سحبكم – منذ بضعة أيام صطحبنى والداى فى رحلة معهما ، وعندما نزلنا فى فندق لم تكن هناك أسرَّة كافية لنا جميعا ، فتقرر أن أنام فى السرير نفسه مع خادمتى » ، وجذب رفاقه قريبا منه ، وتحدث فى صوت أكثر انخفاضا : « إن لهذا تأثيراً غريبًا ألا تنام فى

سـرير واحـد مـع خـادمـتك فى الظلمـات » ، وعندمـا لم يغلبنى النوم ، تسليت فيمـا هى نائمـة ، بتـمرير يدى على ذراعيـها على عنقـها وعلى كتفيها ، وكان ذراعاها وعنقها أكثر امتلاء من كل النساء الأخريات ، وكانت بشـرتها بالغـة النعـومـة ، أكثـر نعـومـة ، كمـا يقـال ، من ورق الخطابات أو من ورق الحرير .

وقـد نلت قـدرا من اللذة حـتى إنـى كنت سـأسـتـمـر طويلا لو لم يتملكنى خوف ، خوف من أن أوقظها أولا ، ثم خوف أيضًا مما لاأدرى كنهـه ، وبعـد ذلك دسـست رأسـى فى شـعرها الذى كان يسـتـرسل على ظهرها كثيفا كعرف الفرس ، وكانت رائحته جميلة أيضًا ، أؤكد لكم ، كزهر الحديقة فى هذه السـاعة ، فحاولوا حينما تسنح لكم الفرصة أن تفعلوا مثلما فعلت ، وسترونْ » .

كان المؤلف الشـاب صاحب هذا الكشف المعـجز قد حلق بعينيه وهو يحكى قصته بنوع من الذهول مما كان لايزال يشـعر به ، وكانت أشـعة الشمس الغاربة ، وهى تنزلق عبر الحلقات الصـهباء لشـعره المنفوش قد أضـاءته كهالة متوهجـة للعشـق ، وكان من السـهل التكهن بأن هذا الفتى لم يكن يضيع حياته فى البحث عن الألوهية فى الغمام ، وأنه كان يجدها باستمرار فى أماكن أخرى .

وأخيرًا قال الرابع : « أنتم تعرفون أنى نادرا مـا أجد تسليتى فى البيت ، ولم يصـحـبنى أحـد مطلقـا إلى مـسـرح وأن الوصـى علىّ شـديد البخل ، وأن الله لايشـغل نفسه بى ولا بأمى ، وليس عندى خـادمة جميلة لتدللنى ، لقـد كان يبـدو لى فى أغلب الأحـيان أن سـعـادتى سـتكون فى السير قـدمًا إلى الأمـام دون أن أعرف إلى أين ، ودون أن يشـغل أمرى إنسـان ، وأن أرى دائما بلادًا جديدة .

إننى لا أكون سعيدا مطلقا فى أى مكان ، وأعتقد دائما أنى سأكون أفضل فى أماكن أخرى غير التى أكون بها ، وقد رأيت الآن ثلاثة أشخاص فى السوق الأخيرة لقرية مجاورة ، يعيشون كما أريد أن أعيش . إنكم لم تنتبهوا إليهم أنتم الآخرون ، لقد كانوا أقوياء ، وكانوا تقريبا من السود ، وفخورين تماما ، رغم أنهم كانوا فى أسمال ، ولا يوحى مظهرهم باحتياج إلى أحد ، كانت عيونهم القاتمة الواسعة تلتمع فجأة حين يعزفون الموسيقا ، موسيقا مدهشة حتى أنها كانت تثير الرغبة تارة فى الرقص وتارة فى البكاء ، أو فى عمل الاثنين معًا فى الوقت نفسه ، وحتى يصبح المرء كامجنون إذا أطال الاستماع إليها ، كان أحدهم حين يسحب قوسه على كمانه يبدو كمن يحكى حزنه والآخر حين يجعل مطرقته الصغيرة تقفز على أوتار بيانو صغير معلق بحزام فى رقبته ، يتخذ مظهر الساخر من شكوى جاره ، فيما يدق الثالث من وقت لآخر صنوجه بعنف غير عادى ، وكانوا راضين عن أنفسهم تماما حتى إنهم كانوا يستمرون فى عزف موسيقاهم الوحشية بعد أن يتفرق الزحام .

وأخيراً جمعوا أشياءهم وحملوا حاجياتهم على ظهورهم ، ورحلوا ، ولأنى أردت أن أعرف أين يقيمون ، فقد تبعتهم من بعيد حتى حافة الغابة ، حيث أدركت عند ذاك فقط أنهم كانوا لايقيمون فى أى مكان .

وحينئذ قال أحدهم : « أينبغى أن ننصب الخيمة ؟ »

فأجابه الآخر : « لعمرى لا ! إنها ليلة بالغة الصفاء » .

وقال الثالث وهو يحسب الدخل : « هؤلاء الناس لايشعرون بالموسيقا ، ونساؤهم يرقصن كالدببة ، لحسن الحظ ، سنكون قبل شهر فى النمسا ، وهناك سنجد شعبا أكثر عشقًا لها » .

وقال أحد الاثنين الآخرين : « قد نحسن صنعا بالذهاب إلى إسبانيا ، لأن هذا الفصل يتقدم ، فلنهرب قبل الأمطار ولانبلّ إلا حلوقنا » .

وهأنذا قد تذكرت كل شىء كما ترون . وبعد ذلك ، شرب كل منهم كأسا من النبيد ، وناموا وقد أداروا جباههم نحو النجوم ، وردت فى البداية أن أرجوهم ليصحبونى معهم ، وأن يعلمونى العزف على آلاتهم ، ولكنى لم أجرؤ ، دون شك ، لأن من أصعب الأمور دائما أن تتخذ قرارا حول أى شىء ، كذلك لأنى كنت خائفا من القبض على قبل أن أصير خارج فرنسا » .

كان مظهر الرفاق الثلاثة الذى يدل على اهتمام قليل ، قد جعلنى أفكر أن هذا الصغير كان غير مفهوم حتى الآن ؛ فنظرت إليه بانتباه ، كان فى عينيه وفى جبهته نضج ماقاتل قبل الأوان ، يبعد عنه التعاطف بصفة عامة ، ويثيرنى دون معرفة السبب إلى حد أن خطرت لى فجأة فكرة غريبة وهى قدرتى على اتخاذه أخًا لى غير معروف .

كانت الشمس قد غربت ، وحل مكانها الليل البهيم فافترق الأطفال ، وسار كل منهم فى غفلة ، حسب الظروف والمصادفات ، لينضج قدَرَه ، ويفضح أقاربه ، وينجذب إلى المجد أو إلى العار !

الصــولجــان

LE Thyrse

" إلى فرانز ليست [1] "

ما الصولجان ؟ حسب المعنى الأخلاقى والشعرى هو رمز مقدس ، فى أيدى الكهنة والكاهنات وهم يحتفلون بالإله الذى يعملون له مفسّرين وخُداما ، ولكن الصولجان بطبيعته ليس إلا عصا ، مجرد عصا ، عصا حشيشة الدينار ، دعامة الكرْم ، صلبة وجافة ومستقيمة ، وحول هذه العصا ، داخل التعرجات النزقة ، تلعب وتمرح سيقان وأزهار ، هذه ملتوية وهاربة ، وتلك منحنية كأجراس أو كؤوس مقلوبة ، وينبثق مجد رائع من تعقد الخطوط والألوان ، سواء كانت رقيقة أو لامعة ، ألا يبدو هذا وكأن الخط المنحنى واللولبى يغازلان الخط المستقيم ويرقصان حوله فى عشق صامت ؟ أو أن كل هذه التويجات الرقيقة ، وكل كؤوس الورد هذه وانفجارات الروائح والألوان ، تمارس رقصة إسبانية صوفية حول العصا الجامدة ؟ ومع ذلك ، فمن هو الوقح الفانى الذى سيجرؤ على

---

(١) فرانز ليست (١٨١١ - ١٨٨٦) : عازف بيانو ومؤلف موسيقى مجرى عظيم ، أثر فيمن جاءوا بعده ، وجوهر عمله الفنى هو ابتكاره أسلوبا مجريا فى الموسيقا الرومانسية ، واستخدامه القصيد السيمفونى بديلا للسمفونية الكلاسيكية ، مما مهد لوصول الرومانسية إلى أعلى درجات نضجها .

عاش فترة فى باريس وقد تأثر بالرومانسية ، وهو أحد ثلاثة ابتكروا فكرة اللحن الدال أو المميز Leitmotive وسماه اللحن المتحول ، والإشارة فى القصيدة إلى عصا المايسترو .

تقرير ما إذا كانت الأزهار والأغصان قد خلقت من أجل العصا ، وما إذا كانت العصا ليست إلا ذريعة لإبراز جمال الأغصان والأزهار ؟ إن الصولجان تمثيل لازدواجيتك المدهشة ، أيها السيد القوى المبجل ، أيها العابد الباخوسى العزيز للجمال الغامض مثير الشهوات ، أبدا لم تقم حورية وقد أثارها باخوس الذى لايقهر بهز صولجانها على رؤوس رفيقاتها المذعورات بمثل هذا القدر من القوة والنزوة ، الذى تحرك به عبقريتك على قلوب إخوانك ؛ فالعصا هى إرادتك المستقيمة ، الثابتة التى لا تتزحزح ، والزهور نزهة خيالك حول إرادتك . إنها العنصر الأنثوى الذى يقوم بدوراته العجيبة حول الذكر ، خط مستقيم وخط من الأرابيسك ، قصد وتعبير ، وصلابة الإرادة ، والتواء العبارة ووحدة الهدف وتنوع الوسائل ، اندماج للعبقرية بالغ القوة ، لايتجزأ ، فمن هو الذى يملك الشجاعة المقيتة على تقسيمكما وفصل أجزائكما ؟

عزيزى ليست ، عبر الضباب ، فى الناحية الأخرى من الأنهار ، وفوق المدائن ، حيث تغنى آلات البيانو مجدك وتترجم المطابع حكمتك فى أى مكان تذهب إليه ، فى مفاخر المدينة الأبدية ، أو فى ضباب البلاد الحالمة التى تُعزِّى جامبرينيس مرتجلة أناشيد التلذذ أو الألم الذى لايوصف ، أو تودع الأوراق تأملاتك العسيرة على الفهم ، يامنشد الشهوة والقلق السرمديين ، أيها الفيلسوف ، الشاعر والفنان ، أحييك فى الخلود !

اسكروا

Enivrez Vous

ينبغى السكر دائما ، هذا كل ما فى الأمر ، إنها المسألة الوحيدة لكيلا تشعروا بالعبء المرعب للزمن الذى يثقل كواهلكم ويجعلكم تنحنون إلى الأرض ، ينبغى أن تسكروا دون راحة .

ولكن مم تسكرون ؟ من الخمر . من الشعر أو من الفضيلة كما يطيب لكم ، ولكن اسكروا .

فإذا استيقظتم أحيانا على سلم قصر ، على العشب الأخضر لقبر ، فى العزلة المقبضة لغرفكم ، وكان السكر قد خف بالفعل أو اختفى ، فاسألوا الريح ، والموج ، والنجم ، والعصفور ، وساعة الحائط ، وكل مايهرب ، وكل ما يئن ، وكل مايدور ، وكل مايغنى ، وكل مايتحدث ، اسألوا ما الساعة ، وسيجيبكم الريح ، والموج ، والنجم ، والعصفور ، وساعة الحائط : إنها ساعة السكر . ليكلا تكونوا عبيد الزمن الشهداء ، اسكروا ، اسكروا ، دون توقف من النبيذ من الشعر ، أو من الفضيلة ، كما يطيب لكم ؛

هكذا سريعـــــاً

Deja !

طلعت الشمس مائة مرة من قبل ، مشرقة أو حزينة ، من هذا الحوض الهائل للبحر الذى لاتدرك شواطئه إلا بعناء ، وغاصت مائة مرة متلألئة أو كئيبة فى حمامه المسائى الهائل ، ومنذ عدة أيام ، كنا نستطيع أن نتأمل الجانب الآخر من قبة السماء ، وأن نفك شفرة حروف الهجاء السماوية من أقاصى الأرض ، وكان كل مسافر يئن ويهمهم ، وكأن الاقتراب من الأرض يزيد من معاناته ، وكانوا يتساءلون : « متى إذن نتوقف عن النوم الذى يهزه الموج ، وترهقه ريحٌ يرتفع صريرها أعلى من غطيطنا ، متى نستطيع أن نأكل من اللحم غير المملح كالعنصر الكريه الذى يحملنا ؟ .. متى نستطيع أن نهضم فى مقعد ثابت ؟ »

وكان منهم من يفكرون فى أوطانهم ويتحسرون على زوجاتهم الخائنات المتجهمات وعلى ذريتهم المتصايحة ، كانوا جميعا يكاد يصيبهم الجنون لصورة الأرض الغائبة التى أعتقد أنهم سيأكلون من عشبها بكثير من الحماسة كالبهائم .

وأخيراً ظهرت علامة لساحل ، ورأينا عند اقترابنا أنه كان أرضا رائعة مبهرة ، كان يبدو أن موسيقا الحياة قد استحالت إلى موج هامس ، وأن شواطئها الغنية بالخضرة من كل الأنواع ، تضوع روائح منعشة من الأزهار والفاكهة لمسافة بعيدة .

وفى الحال ، صار الكل سعيدا ، وهجر مزاجه السيئ ونُسَيتْ كل المعارك ، وغُفرت كل الأخطاء المتبادلة ، وكل المبارزات المتفق عليها

مُحيت من الذاكرة ، وتطايرت الأحقاد كالأدخنة .

وكنت أنا وحدى حزينا ، حزينا على نحو غير مفهوم ، كنت أشبه كاهنا انتُزع منه معبوده ، لم أكن أستطيع ، دون مرارة مؤلمة ، أن أنفصل عن هذا البحر المغوى على نحو بالغ الوحشية ، عن هذا البحر المتقلب بطريقة لانهائية تماما رغم بساطته اللمرعبة ، والذى يبدو أنه يحوى فى داخله ، ويمثل بألعابه ، وهيئته ، وثوراته ، وابتساماته ، الطبائع والعذابات والمسرات لكل الأرواح التى عاشت والتى تعيش والتى ستعيش !

وعند قولى وداعا لهذا الجمال الذى لايقارن ، شعوت أنى حزين حتى الموت ، وهذا هو السبب الذى يجعلنى عندما يقول أحد رفاقى : « أخيراً ! » أصيح قائلا : « هكذا سريعاً ؟ »

ومع ذلك كانت هى الأرض ، الأرض بكل ضجيجها وشهواتها ، وبضائعها ، وأعيادها ، كانت أرضا غنية هائلة ملأى بالرعود التى ترسل إلينا عطرا غامضا من الورد والمسك ، وكانت تصلنا منها موسيقا الحياة فى همس عاشق .

النوافذ

Les Fenetres

إن ذلك الذى ينظر من الخارج عبر نافذة مفتوحة ، لايرى مطلقا كثيرا من الأشياء كذلك الذى ينظر إلى نافذة مغلقة ؛ فلا يوجد شىء أكثر عمقا وأكثر غموضا ، وأكثر خصوبة ، وأشد عتامة ، وأكثر إشراقا من نافذة مضاءة بشمعة ، ذلك أن مايستطيع الإنسان رؤيته فى الشمس يعد أقل إثارة للاهتمام دائما من ذلك الذى يحدث خلف الزجاج ، ففى هذه الفتحة السوداء أو المضيئة تحيا الحياة ، تحلم الحياة ، تقاسى الحياة .

إنى ألمح فى الناحية الأخرى من موجات السقوف امرأة ناضجة هاجمتها التجاعيد بالفعل ، فقيرة ، تنحنى دائما على شئ ما ، لاتخرج أبداً بوجهها ، بملابسها ، بإيماءاتها ، بلا شىء تقريبًا ، أعدت صياغة قصة هذه المرأة ، أو بالأخرى أسطورتها ، وفى بعض الأحيان ، أقصها على نفسى باكيا ، ولو أنها كانت رجلا فقيرا عجوزا ، لكنت أعدت صياغة قصته بنفس السهولة ، وإنى لأرقد فخورا بأنى قد عشت وقاسيت آلامى من خلال آخرين غيرى .

ربما تقول لى : «أمتأكد أنت من أن هذه الأسطورة هى الحقيقية ؟ » ماذا يهم حتى لو كانت الحقيقة موجودة خارج ذاتى ، مادامت تساعدنى على الحياة ، وعلى الشعور بكيانى ، وبماذا أكون ؟

الرغبة فى الرسم

Le Desir De Peindre

كان الرجل سيئ الحظ ، ولكن محظوظ هو الفنان الذى تمزقه الرغبة .

إنى أتوق إلى رسم تلك التى لم أرها إلا نادراً ثم اختفت بسرعة بالغة كشىء جميل يفتقده المسافر الذى غيبه الليل ، وكم مضى وقت طويل منذ اختفائها !

إنها جميلة ، وأكثر من جميلة ، إنها مذهلة . يشع منها السواد وكل ما تلهمه ليلى وعميق ، عيناها كهفان يتلألأ فيهما الغموض ونظرتها تضىء كالبرق وكأنها انفجار فى الظلمات ، لو كان لى أن أقارنها بشمس سوداء ، إذا استطاع الإنسان أن يتصور نجما أسود يصب الضوء والسعادة ، ولكنها تبعث على التفكير عن طيب خاطر فى القمر الذى أثر عليها ، دون شك بسطوته الرهيبة ، ولست أعنى القمر الأبيض الذى يلهم الغزليات الرعوية ، والذى يشبه عروسا باردة ، وإنما القمر المشئوم المسكر المعلق فى عمق ليلة عاصفة ، وتدفعه غيوم تجرى ، ليس القمر الوادع الحذر الذى يزور نوم الرجال الأنقياء ، ولكن القمر المنتزع من السماء مهزوما وعاصيا ، ويرغمه سحرة « تساليا » بقسوة على الرقص فوق العشب المرتجف .

وفى جبينها الصغير تسكن الإرادة الصلبة وحب الفريسة ، مع أن أسفل هذا الوجه المقلق ، حيث فتحتا الأنف المتحركتان تستنشقان المجهول والمستحيل ، تشرق برقة لايمكن التعبير عنها ، ضحكة فم واسع ، أحمر وأبيض ولذيذ ، يمنح الحلم بمعجزة زهرة رائعة تتفتح فى أرض بركانية .

إن من النساء من يلهمن الرغبة فى قهرهن والتمتع بهن ، ولكن هذه تمنح الرغبة فى الموت ببطء تحت بصرها .

أفضال القمر

Les Bienfaits De La Lune

نظر القمر الذى هو النزوة ذاتها ، من النافذة ، فيما كنت تنامين فى مهدك وقال لنفسه : « تعجبنى هذه الطفلة » ، ونزل فى نعومة على سلمه الغيمى ، ومر دون صخب عبر الزجاج ، وبسط نفسه عليك فى رقة أم حانية ، ونشر ألوانه على وجهك ، فبقيت حدقتا عينيك خضراوين ، وخداك شاحبين على نحو غير عادى ، وعند تأملك هذا الزائر اتسعت عيناك على نحو بالغ الغرابة ، وضمك برقة إلى الصدر حتى انتابتك إلى الأبد الرغبة فى البكاء .

ومع ذلك ، ففى اتساع فرحه ، ملأ القمر الغرفة كلها ، كجو فسفورى ، كشراب مضىء وكان كل هذا الضوء الحى يفكر ويقول : « ستعانين سرمدياً تأثير قبلتى ، ستكونين جميلة على طريقتى ، ستحبين ما أحب ، ومن يحبنى : الماء والغمام ، والصمت ، والليل ، والبحر الهائل الأخضر ، والماء الذى لاشكل له ، والمتعدد الأشكال ، والمكان الذى لن تكونى فيه ، والعاشق الذى لن تعرفيه ، والزهور البرية ، والعطور التى تبعث على الهذيان ، والقطط التى تنتشى فوق البيانو ، والتى تئن كالنساء بصوت خشن وجذاب .

وسيعشقك عشاقى ، ويتودد إليك من يتوددون إلىّ ، وستكونين ملكة على الرجال ذوى العيون الخضراء الذين ضممتهم إلى صدرى أيضا فى مداعباتى الليلية ، وعلى أولئك الذين يعشقون البحر ، البحر الهائل

الصاخب والأخضر ، والماء الذى لاشكل له ، والمتنوع الأشكال ، والمكان الذى لن يكونوا فيه ، والمرأة التى لايعرفونها والزهور المشئومة التى تشبه المجامر فى دين مجهول ، والعطور التى تجعل الإرادة تضطرب والحيوانات المتوحشة والشهوانية التى هى رمز لجنونهم .

وإنه لهذا أيتها الطفلة الملعونة العزيزة المدللة ، أجثو الآن عند قدميك ، باحثا فى شخصك كله عن صدى الألوهية المرعب ، والعرّابة المشئومة ، منذرة السوء ، والمرضعة التى تبث سمها لكل متقلبى الأطوار !

أيهما الحقيقية ؟

Laquelle Est La Vraie ?

عرفت راهبة ما ، كانت تملأ الجو بالمثل الأعلى ، كانت عيناها تنثران الرغبة فى العظمة ، فى الجمال ، فى المجد ، وفى كل مايبعث على الاعتقاد فى الخلود .

ولكن هذه الفتاة المعجزة ، كانت أجمل من أن تعيش طويلا ، وقد ماتت بعد بضعة أيام من تعرفى عليها ، وكنت أنا نفسى من دفنها ، ذات يوم كان الربيع فيه يحرك مبخرته حتى فى القبور ، إنه أنا من دفنها بإحكام فى تابوت من خشب معطر وغير قابل للفساد كنواويس الهند .

وبينما بقيت عيناى مغروستين فى المكان الذى دُفن فيه كنزى ، رأيت فجأة ، فتاة صغيرة تشبه الفقيدة على نحو غريب ، تدق الأرض الندية بعنف هستيرى غريب قائلة وهى تنفجر ضاحكة : « إنى أنا الراهبة الحقيقية ! إنى أنا الوغدة الشهيرة ! وعقابا على حماقتك وعماك ، ستحبنى كما أنا ! »

ولكنى أجبتها غاضبا : « لا ، لا ، لا » وحتى أؤكد رفضى على نحو أفضل ، ضربت بقدمى الأرض بطريقة بالغة العنف حتى غاصت ساقى إلى الركبة فى القبر الحديث ، وكذئب وقع فى كمين ، ظللت عالقًا ربما إلى الأبد بحفرة المثل الأعلى !



جواد أصيل

Un Cheval De Race

إنها بالغة القبح ، ولكنها لذيذة مع ذلك .

لقد حفر الزمن والحب بأظافرهما علامات عليها ، وعلماها بقسوة ما تودى به كل دقيقة ، وكل قبلة من الشباب والنضارة .

إنها قبيحة حقا ؛ إنها نملة ، عنكبوت إذا شئت ، مجرد هيكل عظمي ، ولكنها أيضا ارتواء ، مهابة ، سحر ، خلاصة القول : إنها رائعة .

لم يستطع الزمن أن يسقط الانسجام الوضيء لمشيتها ولا رشاقة بنيتها غير القابلة للفناء ولم يغير الحب عذوبة نفسها الطفلى ، ولم ينزع الزمن شيئا من شعرها الغزير الذى تنبعث من عطوره الصهباء الحيوية الشيطانية لجنوبى فرنسا : نيم ، إيكس آرل ، أفينيون ، ناربون ، تولوز ، مدن باركتها الشمس ، معشوقات ، ساحرات !

لقد عضها الزمن والحب عبثًا بأسنان قوية ، ولكنهما لم ينتقصا شيئًا من السحر الغامض ، الأبدى لنهدها الصبيانى .

وربما تكون مستهلكة ، ولكنها غير متعبة ، وهى دائما بطولية ، إنها تذكر بالجياد الأصيلة ، هذه الجياد العظيمة التى تتعرف عليها عين عاشقها الحقيقىّ حتى وهى مشدودة إلى مركبة فاخرة للإيجار ، أو إلى عربة ثقيلة .

وفضلا عن لطفها البالغ ، وتوهجها الرائع ، فإنها ، تحب كما يحب الإنسان فى الخريف ، وكأن اقتراب الشتاء يشعل فيها نارا جديدة ، وأن الخضوع لرقتها ، ليس فيه مايرهق على الإطلاق .

المـــــرآة

Le Miroir

دخل رجل مخيف ، ونظر إلى نفسه فى المرآة .

- « لماذا تنظر إلى نفسك فى المرآة حيث إنك لاتستطيع رؤيتها إلا فى كدر ؟ »

أجابنى الرجل المخيف : « سيدى ، طبقا للمبادئ الخالدة لعام ٨٩ فإن كل الناس متساوون فى الحقوق ، وبناء عليه فإنى أملك الحق فى النظر إلى نفسى فى المرآة ، فى سعادة أو فى كدر ، ولايرجع هذا إلا إلى ضميرى » .

باسم التفكير السليم ، كان لى حق دون ريب ، أما من وجهة نظر القانون ، فإنه لم يكن مخطئًا .

الميـنـــــاء

Le Port

الميناء إقامة ساحرة لروح ترهقها صراعات الحياة ؛ فاتساع السماء والتكوينات المتحركة للسحاب ، وألوان البحر المتغيرة ، وتلألؤ الفنارات هي منشور مناسب على نحو معجز لإمتاع النظر دون إملال مطلقًا ، والأشكال الطليقة للسفن ، بمعدات معقدة تجعل اضطراب الموج ينطبع في اهتزازات منسجمة تساعد على أن تثير في النفس الرغبة في تذوق الإيقاع والجمال .

وفضلا عن ذلك ، خاصة ، فإن هناك نوعًا من اللذة الغامضة والأستقراطية لمن لم يعد يملك كثيرا من الفضول أو الطموح ، ليتأمل راقدا على شرفة السفينة ، متكئا على حاجز الموج ، كل حركات أولئك المسافرين أو العائدين ، وأولئك الذين ما زالوا يملكون قوة الإرادة، والرغبة في الرحيل ، وفي الثراء .

صور العشيقـــات

Portraits De Maitresses

فـى اسـتـراحـة للرجـال ، أى فـى غـرفـة تدخين ملحـقـة بناد أنيق للقـمـار ، كـان أربـعـة رجـال يدخنون ويشـربون ، ولم يكونوا على وجـه التحديد ، شبابًا ولا شيوخًا ، وسامًا ولا قباحًا ، ولكنهم كانوا شيوخًا وشـبـابًا ، يحـملون هذا التـمـيـز الذى لا يخـفـى على المحنكين فى أمـور المرح ، وشـيـئًـا لا يمكن وصـفـه ولا أدرى كنهـه ، وذلك الحـزن البـارد والساخـر الذى يقول بوضـوح : « لقـد عـشـنا بقوة ، ونـحن نبـحث عـمـا نستطيع أن نحبه ونقدره » .

وحوّل أحدهم الحديث إلى موضوع النسـاء ، وقد كان سيبدو أكثر تفلسفا لو أنه امتنع عن الحديث كلية ، ولكن هناك من رجال الفكر من لا يتورعون بعد الشرب ، عن المناقشات المبتذلة ، وحينئذ يسمع المرء إلى من يتحدث كما يسمع موسيقا الرقص .

قـال هذا الشـخص : « كل الرجـال مـروا بسن الطفـولة الملائكيـة ، وهـى الفـتـرة التـى يعـانق فـيـهـا المرء جذع البلوط دون اشـمـئزاز ، لـعدم وجـود آلهـة الغـابات ، وهـذه هـى الدرجـة الأولى للحب ، وفـى الدرجـة الثانية ، يبدأ المرء فـى الاختيار ، ومع بداية التفكير يبدأ التدهور ، وهنا يبدأ بالفعل البحث عن الجمال ، أمـا بالنسبـة لى ، أيها السادة ، فإنى ، فـإنى حـقـقت مـجـدا بوصـولى ، منذ وقت طويل ، إلى الفـتـرة الحـرجـة الخـاصة بالدرجة الثالثة ، حيث الجمال نفسه لم يعد يكفى مالم يمتزج بالعطـر والحلى .. الخ ، حـتى إنى سـأعـتـرف أننى أتطـلـع أحـيـانـا ، كمـا يتطلع المرء إلى سعـادة مـجـهـولة ، إلى درجة مـا رابعة ينبـغى أن

تتميز بالهدوء المطلق ، ولكنى ، خلال حياتى كلها فيما عدا فترة الطفولة الملائكية ، كنت أكثر حساسية من الآخرين جميعا للحماقة العصبية ، ولتفاهة النساء المزعجة ؛ فإن أكثر ما أحبه فى الحيوانات هو براعتها ، واحكموا إذن كم كان علىّ أن أقاسى مع عشيقتى الأخيرة .

لقد كانت ابنة غير شرعية لأمير ، وغنى عن القول إنها كانت جميلة ، فبدون الجمال لماذا كنت آخذها ؟ ولكنها أفسدت هذه الصفة العظيمة بطموح غير لائق ومشوه ؛ فقد كانت امرأة تودُّ دائما أن تكون الرجل . « إنك لست رجلا ، آه ، لو كنت أنا رجلا ! منا نحن الاثنين ، أنا الرجل ! » مثل هذه الكلمات التى لا تطاق هى المقاطع المتكررة التى تخرج من هذا الفم الذى لم أكن أرغب إلا فى رؤية الأغانى تتطاير منه ، وفيما يتعلق بكتاب أو قصيدة أو أوبرا أكون قد سمحت لإعجابى بها أن يتسرب كانت تقول على الفور : « لعلك تظن أن هذه بالغة الروعة والقوة ؟ ولكن هل تعرف أين أنت من القوة ؟ » ثم كانت تشرع فى المجادلة ، وذات يوم جميل ، تحولت تحولاً جذريًا ، حتى إن قناعًا من الزجاج بدأ منذ ذلك اليوم يتكون بين فمها وفمى ، ومع هذا كله كانت امرأة متزمتة جداً ؛ فإذا دفعتها مرة بحركة تنم على الإفراط فى الحب ، كانت تتشنج كامرأة حساسة تم اغتصابها » .

وقال أحد الثلاثة الآخرين : « وكيف انتهى هذا ؟ إنى لم أعرفك صبورا إلى هذا الحد » . فاستأنف قائلاً : « إن الله وضع العلاج فى الداء ؛ فقد رأيت هذه المرأة الجميلة العاقلة الجائعة إلى القوة المثلى ، على انفراد مع خادمى فى موقف اضطرنى إلى الانسحاب دون أن يشعرا بى حتى لا أخجلها ، وفى المساء صرفتهما الاثنين مع إعطائهما متأخراتهما » .

وأردف المقاطع : « أما بالنسبة لى ، فليس عندى ما أشكو منه إلا نفسى ، لقد جاء الحظ الطيب ليسكن بيتى ، ولم أتعرف عليه ؛ فقد أنعم علىَّ القدر فى هذه الأوقات الأخيرة بالسعادة من امرأة كانت الأكثر لطفا ، والأكثر طاعة والأكثر إخلاصا بين المخلوقات ، ودائما على استعداد وبلا حماسة ، وكانت إجابتها المعتادة « ليس عندى أى مانع ما دام هذا يسعدك » ، يمكنك أن تضرب بالعصا هذا الحائط ، أو هذه الأريكة حتى تحصل منها على تنهدات أكثر مما تحصل من صدر معشوقتى على بواعث الحب الأشد جموحا ، وبعد عام من الحياة المشتركة اعترفت لى أنها لم تعرف المتعة مطلقا ، شعرت بالاشمئزاز من هذا المبارزة غير المتكافئة .. ثم تزوجت هذه الفتاة التى لا تقارن ، وراودتنى الرغبة فى أن أراها ثانية فيما بعد ، فقالت لى مشيرة إلى ستة أطفال وسام : « إيه ، يا صديقى العزيز ما زالت الزوجة عذراء مثلما كانت عشيقتك » ، لم يتغير شيء فى هذه الشخصية .. وأحيانا كنت آسف عليها ، فقد كان ينبغى علىَّ أن أتزوجها » .

انفجر الآخرون فى الضحك ، وقال الثالث بدوره : « أيها السادة ، لقد عرفت من المتع ما لعلكم أهملتوه ، أريد أن أتحدث عن الجانب الفكاهى فى الحب ، وهى فكاهة لا تمنع من الإعجاب ، لقد أعجبت بعشيقتى الأخيرة أكثر مما استطعتم على ما أظن ، أن تكرهوا أو تحبوا عشيقاتكم ، وأعجب بها الناس جميعا بقدر إعجابى بها ؛ فقد كان الجميع ، بعد دقائق من دخولنا إلى مطعم ، ينسون الطعام ليتأملوها ، حتى النُدل أنفسهم والسيدة التى كانت تأخذ الحساب كانوا يشعرون بتلك النشوة المعدية حتى لينسوا واجباتهم . باختصار ، عشت بعض الوقت ، وجها لوجه ، مع ظاهرة حية ، كانت تأكل ، وتمضغ ، وتطحن ، وتلتهم ، وتبتلع ، ولكن بأكثر المظاهر خفة وخلو بال فى العالم ، وقد

استحوذت عليً هكذا طويلا فى نشوة ، وكانت لها طريقة جميلة ، حالمة ، إنجليزية وخيالية فى قولها : « إنى جائعة » ، وكانت تكرر هذه الكلمات نهارا وليلا مبدية أجمل أسنان فى الدنيا ، وكان يمكن لهذا أن يثير شفقتك ويسعدك فى الوقت نفسه - كنت أستطيع أن أكون ثروتى بعرضها فى الأسواق كوحش شديد النهم ، لقد كنت أغذيها جيدا ، ومع ذلك هجرتنى ،، »

- « إلى مورد أغذية دون شك » .

- « شىء قريب من هذا ، موظف مايعمل في إدارة تموين الجيش ، عن طريق مكسب حرام يعرفه جيداً ، ربما مؤن هذه الطفلة المسكينة بجراية كثير من الجند ، هذا على الأقل ما افترضته » . وقال الرابع :

- « أما أنا فقد تحملت من المعاناة الفظيعة بعكس ما يضيق به المرء عموماً من الأنانية الأنوثية ، لقد وجدتكم فى حالة سيئة أيها الناس المحظوظون فى شكواكم من نقائض عشيقاتكم » .

قيل هذا بنغمة قوية جادة ، من رجل ذى مظهر رزين ، رابط الجأش ، له سحنة تكاد تكون كهنوتية ، يضيؤها لسوء الحظ ، عينان لهما لون رمادى فاتح ، تقول نظرتهما : « إنى أريد» او « إنه ينبغى » أو « إنى لا أعفو أبدا » .

- « لو أنكم ، عصبيون كما أعرفكم ، أنت يا (ج) مستهتر وجبان كما أنت ، وأنتما يا (ك) و(ج) ارتبطتم بامرأة ما من معارفى لكنتم هربتم ولكنتم متم ، أما أنا فقد نجوت كما ترون ، تصوروا شخصا لايمكنه أن يرتكب خطأ فى العاطفة أو الحساب ، تصوروا سكينة محزنة تميز الطبع ، تضحية بالذات دون فكاهة ودون تشوق ، عنوية دون ضعف طاقة دون عنف إن قصة حبى تشبه رحلة لاتنتهى على سطح

ناعم ومصقول كالمرآة ، رتيب بصورة تثير الدوار كان يعكس كل عواطفي وحركاتي بدقة ضميرى الساخرة ، حتى إني لم أستطع السماح لنفسى بحركة او بعاطفة مخالفة للصواب دون أن ألحظ مباشرة اللوم الصامت من قريني الذي لاينفصل عني ، كانت حبيبتي تبدو لي كوصية كم من الحماقات منعتني من ارتكابها حتى إني أندم على عدم ارتكابها كم من الديون دفعتها بالرغم مني . لقد كانت تحرمنى من كل الفوائد التي كنت أستطيع أن أستمدها من أخطائي الشخصية ، وبقاعدة باردة لايمكن الفكاك منها ، كانت تعارض كل نزواتي ، وإمعانا في البشاعة كانت لا تطلب عرفانا بالجميل بعد أن يمضي الخطر ، كم من المرات منعت نفسي من الإمساك بخناقها وأنا أصيح فيها :

-: « كوني ناقصة اذن أيتها البائسة حتى أستطيع أن أحبك دون مكر أو غضب » ، وخلال سنوات كثيرة كنت معجبا بها والقلب مفعم بالحقد ، وأخيراً لست أنا الذى مات ! قال الآخرون :

- « اه ، لقد ماتت إذن ؟ »

- « نعم ، كان هذا لايمكن أن يستمر هكذا لقد صار الحب بالنسبة لي كابوسا مرهقا ، الانتصار أو الموت كما تقول السياسة ، كان هذا البديل الذى فرضه على القدر ، ذات مساء في غابة ، على حافة بركة ... بعد نزهة كئيبة ، حيث كانت عيناها تعكس عذوبة المساء ، وحيث كان قلبى منقبضا كالجحيم .

- « ماذا ؟ »

- « كيف ؟ »

- « ماذ تريد أن تقول ؟ »

- « كان هذا محتوما ، إن حبى للأنصاف أكبر من أن يسمح لى أن أضرب أو أن أهين أو أصرف خادماً غير مستحق للوم ، ولكن كان ينبغى أن أوازن هذا الإحساس مع البشاعة التى كان هذا الكائن يجعلنى أشعر بها ، أن أتخلص من هذا الكائن دون أن أفقد احترامى له ماذا كنتم تريدون منى أن أفعل بها وهى كاملة ؟ » نظر الرفاق الثلاثة الآخرون إلى هذا الشخص نظرة غامضة بها شىء من البلاهة ، كأنهم يتظاهرون بعدم الفهم ، وكأنهم يعترفون ضمنيا بأنهم لم يشعروا فيما يخصهم أنهم قادرون على فعلٍ بهذه القسوة ، بالرغم من أن له ما يبرره بدرجة كافية .

وبعد ذلك أحضر بعضهم زجاجات جديدة لقتل الوقت الذى يمضى بقسوة شديدة والإسراع بالحياة التى تمر فى بطء شديد .

الرامى البارع

Le Galant Tireur

عندما كانت العربة تعبر الغابة ، أوقفها بجوار ميدان رماية قائلا إنه سيكون من الممتع إطلاق بعض الرصاصات لقتل الوقت ، أليس قتل هذا الوحش مناسبة عادية تماما ومشروعة تماما لكل إنسان ؟

ومد يده بلطف إلى امرأته الغالية اللذيذة الكريهة ، إلى تلك المرأة الغامضة التى يدين لها بكل هذه السعادة وبكل هذا الألم ، وربما بجزء كبير من عبقريته .

وطاشت كثير من الرصاصات بعيداً عن الهدف المقصود ، حتى إن إحداها انغرزت فى السقف ، ولأن المخلوقة الجميلة أخذت تضحك فى جنون ، ساخرة من عدم براعة زوجها ، استدار هذا نحوها فجأة وقال لها : « لاحظى هذه الدمية ، هناك ، على اليمين التى ترفع أنفها فى الهواء ، ولها هيئة متشامخة تماماً . إيه .. حسناً ! يا ملاكى الغالى ! .. إننى أتخيلها أنت » .

وأغمض عينيه ، وضغط على الزناد ، فسقطت الدمية مقطوعة الرأس تماماً .

حينئذ مال إلى امرأته الغالية اللذيذة الكريهة ، عروس شعره التى لا مفر منها ، والتى هى غير جديرة بالشفقة ، وقبّل يدها بكل احترام ، وأضاف : « آه يا ملاكى الغالى ، كم أشكرك على براعتى ! »

الحساء والغيوم

La Soupe Et Les Nuages

قدمت لى محبوبتى الصغيرة الطائشة طعام العشاء ، ومن النافذة المفتوحة فى قاعة الطعام ، كنت أتأمل الأشكال المتحركة التى يكونها الله بالأبخرة ، هذه البنايات المعجزة من غير الملموس ، وكنت أقول لنفسى فى تأملى : « كل هذه المشاهد الخارقة للطبيعة تكاد تعادل فى جمالها عيون محبوبتى الجميلة ، الصغيرة الطائشة المتوحشة ، ذات العينين الخضراوين » .

وعلى حين غرة ، تلقيت ضربة عنيفة بقبضة يد على ظهرى ، وسمعت صوتا خشنا ساحرا ، صوتا هستيريا كأنه مبحوح بالخمر ، صوت محبوبتى الغالية الصغيرة الذى كان يقول : « ألن تتناول من فورك حساءك ، أيها ... التاجر المقدس للغيوم ! »

ميدان الرماية والجبَّانة

Le Tir Et Le Cimetiere

« إطلالة على جبَّانة – استامينه » – " لافتة عجيبة " قال متنزهنا لنفسه : « ولكنها جيدة لتثير فينا العطش » .

بالتأكيد إن صاحب هذا الملهى يعرف قدر « هوراس » والشعراء من تلاميذ « أبيقور » ، وربما كان يعرف في الوقت نفسه عمق دقة المصريين القدماء الذين لم تكن الولائم لتصبح عندهم طيبة إلا في وجود مومياء أو أي شعار يدل على قصر الحياة .

ودخل ، وشرب كأسا من الجعة في مواجهة القبور ، ودخن سيجارا على مهل ، ثم سيطرت عليه نزوة النزول إلى هذه الجبانة التي كان العشب فيها عاليًا جدًا ، ومستحَثًا تمامًا .

حيث تسود شمس سخية .

ففي الواقع ، كان الضوء والحرارة هناك يثيران السعار ، وكأن الشمس السكرى كانت تتمدد بطولها على بساط من الأزهار البديعة التي كانت تتغذى على الفناء ، وكان الدوى الهائل للحياة – حياة الكائنات المتناهية الصغر يملأ الهواء ، تقطعه على فترات منتظمة طقطقة طلقات النار من ميدان رماية مجاور ، كانت تنفجر كسدادات الشمبانيا في طنين سيمفونية خافتة .

حينئذ ، تحت الشمس التي جعلت رأسه يغلي ، وفي جو العطور المتوهجة للموت ، سمع صوتا يهمس أسفل القبر حيث يجلس ، وكان الصوت يقول : « ملعونة أهدافكم ، وبنادقكم ، أيها الأحياء الصاخبون

الذين لا يهتمون إلا قليلا بالموتى وبراحتهم المقدسة ، ملعونة طموحاتكم ، ملعونة حساباتكم ، أيها البشر الفاقدو الصبر الذين يأتون لتعلم فن القتل حول قدس أقداس الموت ، لو كنتم تعرفون كم هو هين هذا الثمن الذى تحصلون عليه ، وكم هو هين هذا الهدف الذى تبغونه ، وأن كل شىء فانٍ ، ما عدا الموت ، لما كنتم تعبتم إلى هذا الحد ، أيها الأحياء الكادحون ، ولما أزعجتم إلا قليلا نوم هؤلاء الذين منذ زمن طويل ، قد أحرزوا الهدف ، الهدف الوحيد الحقيقى للحياة البغيضة » .

فقدان الهالة

Perte D'Aureole

– أحقًا ! أنت هـنا ، يا عـزيـزى ؟ أنت فى مـكان سـيئ ! أنت يا شـارب الجوهـر ، أنت كل طعـام الآلـهـة ! فى الواقع ، إن فـى هذا مـا يدهشنى .

– يا عزيزى ، أنت تعرف رعبى من الخيول والعربات ومنذ قليل ، حين كنت أعبر الشارع الواسع فى سرعة فائقة وأنا أقفز فى الوحل ، عبر هذه الفوضى المتحركة ، حيث يأتى الموت فى عجلة من كل الجهات فى الوقت نفسه ، انزلقت هالتى فى حركة مفاجئة من فوق رأسى ، فى الطين على الطريق المعبد، ولم أملك الشجاعة على التقاطها ، لقد قدرت أن فقد شارتى أقل سوءا من تهشم عظامى ، وفضلا عن ذلك ، قلت لنفسى : « رب ضارة نافعة ، فأنا أستطيع الآن أن أتنزه دون أن يتعرف علىّ أحد ، وأقوم بأعمال خسيسة ، وأنغمس فى الفسق كالبسطاء من الناس ، وهأنذا أشبهك كما ترى » .

– كـان من واجـبك على الأقل ، أن تعلن عن هالتك أو تطلب من مفتش الشرطة الإتيان بها .

– أعـتـقـد أنه لا لزوم لذلك ، لقـد وجـدت نفـسى هنا أفـضل ، أنت وحدك تعرفت علىّ ، ومن جهة أخرى ، فإن الكرامة تضجرنى ، ثم إنى أفكر بسعادة أن شاعرا ما رديئا سيعثر عليها ، وسيضعها على رأسه فى صفاقة ، ويالها من متعة أن تجعل إنسانا سعيدا ، وخاصة إذا كان

هذا السعيد سيجعلنى أضحك ، فكر فى (س) أو (ص) من البشر ، أليس كذلك ؟ كم سيكون هذا مثيرا للسخرية !

الآنسة بيستورى

Madmoiselle Bistouri

حين وصلت إلى أقصى الضاحية ، تحت أضواء الغاز ، شعرت بذراع تندس برفق تحت ذراعى ، وسمعت صوتا يهمس فى أذنى : « هل أنت طبيب يا سيدى ؟ »

نظرتُ : كانت هذه فتاة طويلة ، قوية البنيان ، ذات عينين مفتوحتين على اتساعهما ، تعلو وجهها حمرة خفيفة ، يتطاير شعرها فى الريح مع شرائط قبعتها .

– لا ، لست طبيبا ، دعينى أمرّ .

– أوه ، بلى أنت طبيب ، أرى هذا جيدا ، تعال عندى ، ستكون راضيا عنى تماما ، هيا ! .

– دون شك ، سأذهب لرؤيتك ، ولكن فيما بعد ، بعد الطبيب ، يا للشيطان ! .

انفجرت ضاحكة وهى ما تزال معلقة بذراعى :

– آه .. آه ؛ إنك طبيب مهذار ، لقد عرفت كثيرين من هذا النوع ، تعال .

إنى أعشق الغموض فى شغف ، لأنى أتعشم دائما أن أكشفه ، لهذا تركت نفسى لتسحبنى هذه الرفيقة أو بالأحرى هذا اللغز غير المتوقع .

إنى أغفل وصف الكوخ القذر ، يستطيع المرء أن يجده عند كثير من الشعراء الفرنسيين القدامى المعروفين تماما ، هناك فقط تفصيل لم يلاحظه رينييه [1] . إنه لوحتان أو ثلاث لأطباء مشاهير كانت معلقة على الحائط .

كم كنت مدللاً : نار عالية ، نبيذ حار ، سيجار ، وعند تقديمها هذه الأشياء الطيبة ، وهى تشعل لى بنفسها سيجارا ، كانت المخلوقة المهرجة تقول :

– تصرف كأنك فى بيتك ، يا صديقى ، خذ راحتك ، سيذكرك هذا بالمستشفى ، وبالأوقات الجميلة فى شبابك – آه .. هذا ، .. أين إذن اكتسبت هذا الشعر الأبيض ؟ .. لم تكن هكذا ، ولم يمر على هذا وقت طويل بعد ، عندما كنت طالبا داخليا عند (ل) إنى أذكر أنك كنت مساعدا له فى العمليات الخطيرة ، كان رجلا يحب التقطيع ، والتشذيب والقص ، وكنت أنت من يناوله الأدوات والخيوط والإسفنج ، وعندما تنتهى العملية كان يقول فى تفاخر وهو ينظر إلى ساعته : « خمس دقائق ، يا سادة » آه ، إننى أذهب إلى كل مكان ، وأعرف جيدا هؤلاء السادة .

وبعد بضع لحظات ، رفعت الكُلفة وخاطبتنى بصيغة المفرد ، مستأنفة لازمتها : « أنت طبيب ، أليس كذلك ، يا قطى ؟ »

(١) ماتوران رينيه Mathuran Regnier (١٥٧٣ – ١٦١٣) : شاعر فرنسى ولد فى شارتر ، وانتظم فى النظام الكنسى وهو فى الحادية عشرة لينال امتيازات الكنيسة ، كان شاعرا مرحا متوثب الخيال ، ترك ست عشرة قصيدة هجائية ، ترى فيها صورة حية لباريس فى عهد هنرى الرابع ، شبهه سانت بيف بمونتانى لجرأته وبراعته فى الوصف .

هذا المقطع المتكرر غير المفهوم جعلنى أقفز على ساقى صارخا فى غضب : « لا » .

– جراًح إذن ؟

– « لا ، لا ، إلا إذا كان هذا لقطع رأسك ! يا كأس القربان المقدس للقديس ماكريل ! » ، واستأنفت قائلة :

– انتظر ، وسترى .

وسحبت من دولابها رزمة ورق ، لم تكن إلا مجموعة من الصور لأطباء مشهورين فى هذا الوقت للرسام موران كان يمكن للمرء أن يراها معروضة خلال سنوات كثيرة على رصيف ڤولتير .

– إمسك ! أتعرف هذا ؟ .

– نعم هذا (س) الاسم أسفل الصورة ، ولكنى أعرفه شخصيا .

– « كنت أعرف جيدا ، امسك وها هو (ز) الذى كان يقول فى مقرره متحدثا عن (س) : « هذا الوحش الذى يحمل وجهه سواد روحه ! » كل هذا لأن الآخر لم يوافقه على رأيه فى أمر ما ، كم ضحكنا على هذا فى المدرسة فى ذلك الوقت ، أتذكر ؟ امسك ، ها هو (ك) الذى كان يبلغ الحكومة عن الثوار الذين كان يرعاهم فى مستشفاه ، وكان هذا خلال القلاقل ، كيف يمكن لمثل هذا الرجل الوسيم أن يملك هذا القدر القليل من العاطفة ؟ وها هو الآن (و) طبيب إنجليزى شهير ، اقتنصته خلال زيارته لباريس ، له مظهر فتاة ، أليس كذلك ؟

وحينما هممت بلمس ربطة محزومة ، موضوعة أيضا على المائدة المستديرة ، قالت لى : « انتظر قليلا ، هؤلاء هم الطلبة الداخليون ، وهذه هى الربطة هم الطلبة الخارجيون » .

ونشرت على شكل مروحة كتلة من الصور الضوئية التى تمثل وجوها أكثر شبابا بكثير .

– عندما نلتقى مرة أخرى ، ستعطينى صورتك ، أليس كذلك يا عزيزى ؟

وكنت أقول لها متابعا بدورى ، أنا أيضا ، فكرتى الثابتة :

– ولكن .. لماذا تظنين أنى طبيب ؟

– ذلك أنك رقيق ، وطيب جدا مع النساء

وقلت لنفسى : منطق غريب » .

– أوه ، قلما أخطئ فى هذا الأمر ، لقد عرفت منهم عددا كبيرا ، إنى أحب كثيرا هؤلاء السادة الذين أذهب لرؤيتهم أحيانا مع أنى لا أكون مريضة ، لا لشىء إلا لرؤيتهم ، ومنهم من يقول لى فى برود : « إنك لست مريضة على الإطلاق . » ، ولكن منهم آخرين يفهموننى لأنى كنت أتظاهر أمامهم .

– وعندما لا يفهمونك .. ؟

– بما أننى أزعجتهم بدون داع فقد كنت أترك عشرة فرنكات على المدفأة ، إنهم طيبون ولطفاء هؤلاء الرجال ، لقد اكتشفت فى مستشفى الرحمة ، طالبا داخليا صغيرا ، كان جميلا كملاك ، ومهذبا ، وكان الصبى المسكين يعمل ، وأخبرنى رفاقه أنه لم يكن يملك فلسا ، لأن والديه كانا من الفقراء الذين لا يستطيعون إرسال أى شىء إليه ، وقد منحنى هذا ثقة بنفسى فأنا بعد كل شىء امرأة جميلة إلى حد كبير ، رغم أنى لست شابة تماما ، قلت له : « تعال لرؤيتى ، تعال لرؤيتى كثيرا ، ومعى لا تنزعج ، فأنا لست بحاجة إلى المال ، ولكنك تدرك أنى جعلته

يفهم هذا بطرق كثيرة ، ولم أقل له كل شيء بغلظة ، فقد كنت أخشى كثيراً أن أهينه ، هذا الطفل العزيز - ، هل تصدق أنني كانت تنتابني رغبة غريبة لم أكن أجرؤ على البوح بها ؟ كنت أريده أن يأتي لرؤيتي بحقيبته وبمعطفه وحتى ببعض الدم عليه ؟ » قالت هذا بمظهر شديد البراءة كأنها رجل حساس يقول لمثلة فكاهية كان يحبها : « أريد أن أراك مرتدية الرداء الذى كنت تلبسينه فى هذا الدور الذى خلقته » .

واستأنفت بإصرار :

- هل تستطيعين تذكر الفترة والمناسبة : اللتين تولدت فيهما لديك هذه العاطفة بالغة الخصوصية ؟

وبصعوبة حاولت أن أفهمها ما أعنى ، وأخيرا نجحت فى هذا ، ولكنها حينئذ أجابتنى وقد بدا عليها حزن شديد ، حتى إنها على قدر ما أذكر ، أدارت عينيها بعيدا قائلة : « لا أعرف .. لا أتذكر » أى الغرائب لا يجدها المرء فى مدينة كبيرة حين يعرف كيف يتنزه وينظر ؟ فالحياة تغص بوحوش أبرياء .

- يا سيدى ، يا إلهى ، أنت الخالق ، أنت المولى ، أنت الذى خلق القانون والحرية ، وأنت المهيمن الذى يترك الأمور تسير ، وأنت الحكم الذى يعفو ، وأنت الغنى بالدوافع والأسباب ، والذى ربما بث فى روحى الإحساس بالنفور الشديد لتهدى قلبى ، كالشفاء بعد حادث ، يا سيدى كن رحيما وارحم الحمقى والحمقاوات ، أيها الخالق أيمكن أن توجد وحوش فى عيون ذلك الوحيد الذى يعرف لماذا وجدوا ، وكيف أصبحوا هكذا ، وكيف كان يمكن ألا يصيروا كذلك ؟

أى مكان خارج العالم

Anywhere Out Of The World

N'importe Oú Hors Du Monde

هذه الحياة مستشفى ، كل مريض فيه ممسوس بالرغبة فى تغيير سريره ، يريد هذا أن يقاسى أمام المدفأة ، ويظن ذاك أنه سيشفى بجوار النافذة .

ويبدو لى أنى سأظل دائما بخير ، حيث لا أكون ، وأن مسألة الانتقال هذه هى واحدة من المسائل التى أناقشها مع روحى دون توقف .

– قولى لى ياروحى ، أيتها الروح المسكينة التى خمدت ، ما رأيك فى سكنى لشبونة ؟ لا بد أن الجو حار هناك وستنتعشين فيها كالعظاية ، إن هذه المدينة تقع على شاطىء الماء ، ويقال إنها مشيدة بالمرمر ، وأن شعبها يشعر بالبغض للنبات إلى الدرجة التى يقتلع فيها كل الأشجار ، ها هو منظر يلائم ذوقك ، منظر مكون من الضوء والجماد والماء ليعكسه .

إن روحى لا تجيب .

– ما دمت تحبين الراحة إلى هذا الحد مع مشهد الحركة ، أتريدين الذهاب لتسكنى هولندا ، تلك الأرض التى تبعث على السعادة ، فربما ترفهين عن نفسك فى هذا القطر الذى كثيرا ما أعجبت فيه بلوحات المتاحف ، وما رأيك فى روتردام ، أنت التى تحبين غابات الصوارى والسفن المربوطة بالحبال إلى أقدام المنازل ؟

تظل روحى خرساء .

« باقيا [1] قد تبتسم لك أكثر

سوف نجد فيها ، من جهة أخرى ، روح أوروبا مقترنة بالجمال الاستوائى » .

ولا كلمة – أتكون روحى قد ماتت ؟

هل بلغت إذن هذه الدرجة من فتور الهمة حتى إنك لا تسعدين إلا بما يؤلمك ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فلنهرب إلى البلاد التى هى قرائن الموت – إنى أتولى أمرك ، يا روحى المسكينة ، وسنحزم حقائبنا إلى تورنيا ، ولنذهب أبعد من هذا أيضا ، إلى أقصى أطراف البلطيق ، أبعد من الحياة ، إذا كان هذا ممكنا ، فلننزل فى القطب ، وهناك لا تلمس الشمس الأرض إلا مائلة ، والتوالى البطىء للضوء ، والليل يمحو التنوع، ويزيد نصف العدم هذا من الرتابة ، وهناك سنكون قادرين على الاستحمام طويلا بالظلمات ، فى حين أنه للترفيه عنا ، سترسل رياح الفجر الشمالية ، من وقت لآخر ، باقاتها الوردية كأنها انعكاسات ألعاب الجحيم النارية .

وأخيراً ، تنفجر روحى ، وتصيح بى فى حكمة : « لا يهم أين ! لا يهم أين ! بشرط أن يكون هذا خارج العالم ! » .

(١) هى الآن جزيرة جاوا فى إندونيسيا .

فلنصرع الفقراء

Assommons Les Pauvres

لمدة خمسة عشر يوما ، كنت مسجونا فى غرفتى ومحاطا بالكتب الرائجة ، فى ذلك الوقت (منذ ستة عشر أو سبعة عشر عاما) أريد أن أتحدث عن الكتب التى تتناول فن جعل الشعوب سعيدة وحكيمة وثرية فى أربع وعشرين ساعة ، هضمت إذن أو بالأحرى ابتلعت ، هذيان كل متعهدى السعادة العامة ، هذيان هؤلاء الذين ينصحون الفقراء جميعا بأن يصيروا عبيدا ، هذيان هؤلاء الذين يقنعونهم بأنهم جميعا ملوك مخلوعون ، ولن يجد المرء ما يُدهش فى دخولى فى حالة نفسية قريبة من الدوار والبلادة .

وبدا لى فقط أنى شعرت بجرثومة شاذة لفكرة مسجونة فى أعماق فكرى أسمى من كل وصفات المرأة العجوز التى كنت أبحث عنها فى القاموس مؤخراً ، ولكنها لم تكن إلا فكرة عن فكرة ، شىء ما غامضا بلا نهاية .

وخرجت وأنا أشعر بعطش عظيم ، لأن الشغف العاطفى بالقراءات الرديئة يولد احتياجا نسبيا إلى الهواء الطلق ، والمرطبات .

وبينما أنا داخل إلى ملهى ، مدَّ لى شحاذٌ قبعته بنظرة من تلك النظرات التى لا تُنسى ، والتى قد تقلب العروش إذا كانت الروح تحرك المادة ، وإذا كانت عين المنوم المغناطيسى تنضج الأعناب .

وفى الوقت نفسه ، سمعت صوتا يهمس فى أذنى ، صوتًا أعرفه

جيداً ، إنه صوت ملاك طيب ، أو صوت شيطان طيب يصاحبنى فى كل مكان ، وبما أن سقراط كان له شيطان طيب ، فلماذا لا يكون لى ملاكى الطيب ؟ ولماذا لا يكون لى شرف الحصول ، مثل سقراط ، على شهادة جنونى موقعة من « ليلو » الرائع ومن « بيارجيه » صائب الرأى ؟

وهناك فرق بين شيطان سقراط وشيطانى ، فقد كان شيطان سقراط لا يظهر له إلا للدفاع عنه وتحذيره ومنعه ، أما شيطانى فهو لا يظهر إلا متفضلا بالنصح والوسوسة والإقناع ، ولم يكن لسقراط المسكين هذا إلا شيطان مانع ، أم شيطانى فهو مُثبِّت ، شيطان أفعال ، أو شيطان صراع .

ولكن ، كان صوته يهمس لى هكذا : « هذا وحده ندٌّ لآخر من يثبت ذلك ، وهذا وحده أهل للحرية ، من يعرف كيف يغزوها » .

وقفزت فى الحال على شحاذى ، بضربة واحدة من قبضتى فسددْتُ له عينا ، وصارت بعد ثانية واحدة ، متورمة كالكرة ، وكسرت ظفرا من أظفارى وأنا أكسر له سنّتين ، ولأنى لم أشعر بأننى قوى بما فيه الكفاية لكونى ولدتُ ضعيفًا ، ولكونى تمرنت قليلاً على الملاكمة لأصرع هذا العجوز بسرعة ، أمسكته بيد من ياقة ملبسه ، وبالأخرى لكمْته فى صدره ، ورحت أخبط رأسه بعنف فى حائط ، يجب أن أعترف أننى فحصت المنطقة من قبل بطرفة عين ، وتحققت من أن هذه الضاحية المهجورة التى وجدت فيها لوقت طويل كاف ، خارج درك أى شرطى .

وبعد ذلك ، ركلته بقدم أُطلقَتْ فى ظهره ، كانت قوية لدرجة تكفى لتهشيم عظام الكتف ، طرحت هذا الضعيف الستينى أرضا ، وأمسكت بغصن شجرة ملقى على الأرض ، وضربته بالقوة العنيدة التى يضرب بها الطباخون شرائح اللحم حتى تلين .

وفجأة ! – ياللمعجزة أو يالفرحة الفيلسوف الذى يتحقق من امتياز نظريته ! – رأيت هذا الهيكل العظمى العتيق ، يستدير ويتشامخ فى قوة لم أشك فى وجودها أبداً فى آلة معطلة على هذا النحو ، وبنظرة حقد بَدَتْ لى من حسن الطالع – انقض علىّ اللص الهرم وسد لى عينىّ ، وكسر لى أربع أسنان ، وبغصن الشجرة نفسه ضربنى بعنف ضرباً مبرحاً ، وبعلاجى القوى جعلته يسترد الكرامة والحياة .

وحينذاك ، أوضحت له بإشارات قوية لأُفهمه أننى اعتبرت المناقشة منتهية ، وقلت له متعلقا برضا سفسطائى رواقى :«سيدى ، أنت ندّ لى ، فامنحنى شرف اقتسام ما فى محفظتى معى ، وتذكر إذا كنت محبا للبشر على نحو حقيقى ، أنه ينبغى عليك أن تطبق على جميع زملائك ، حين يطلبون منك صدقة ، النظرية التى تجشمتُ عناء تجربتها على ظهرك » .

فأقسم لى أنه استوعب نظريتى ، وأنه سيتبع نصائحى !

الكلاب الطيبة

Les Bon Chiens

(إلى السيد / جوزيف ستفنس)

لم أخجل أبدًا ، حتى أمام الكتاب الشبان في عصري ، من إعجابي بـ (بوفون)[1] ، ولكني اليوم لن أستدعي روح رسام الطبيعة الفخمة هذا لمعاونتي ، لا .

وأكثر من هذا ، قد أخاطب « ستيرن »[2] طواعية ، ولعلي أقول له : « اهبط من السماء ، أو اصعد نحوي في جنة الشانزليزيه لتلهمني ، لصالح الكلاب الطيبة ، الكلاب المسكينة ، أغنية تليق بك ، أيها المزاح العاطفي ، المزاح الذي لا يقارن .

عد إلى جلستك منفرج الساقين على حمارك الشهير الذي تصطحبه دائما في ذاكرة الأجيال التالية ، ولا سيما أن هذا الحمار لا ينسى أن يحمل برقة علكته الخالدة معلقة بين مشفريه » .

(١) بوفون Buffon (١٧٠٧ – ١٧٨٨) : عالم طبيعة فرنسي ، كتب مؤلفه الكبير (التاريخ الطبيعي) في حوالي ٤٠ مجلدا، ولاقى نجاحا هائلا ، كان مشرفا على حديقة الملك ، واشترك في إنشاء متحف التاريخ الطبيعي في باريس ، وهو الذي قال إن (الأسلوب هو الرجل) أمام الأكاديمية الفرنسية بعد أن رشحته لعضويتها .

(٢) لورنس ستيرن (١٧١٣ – ١٧٦٣) : روائي إنجليزي كبير ، تخرج في كيمبريدج ونال درجة الماجستير رغم تربيته الدينية والعسكرية ، له روايتان شهيرتان تحفلان بالسخرية والذكاء : هما « حياة وآراء تريسترام شاندي ، » و « رحلة عاطفية » .

إلى الوراء يا عروس الشعر الأكاديمية ليس عندى ما أفعله مع هذه العجوز المتزمتة . إنى أستدعى هذه العروس المألوفة ساكنة المدينة ، الحية ، لتساعدنى فى الغناء للكلاب الطيبة ، الكلاب المسكينة ، الكلاب الملطخة بالوحل ، تلك التى يتجنبها الناس ، كأنها موبوءة بالطاعون والقمل ، ما عدا البائس الذى يشاركها حالها ، والشاعر الذى يرمقها بنظرة أخوية .

سحقًا لذلك الكلب الأحمق الوسيم ، ذلك السائر على أربعة ، المزهو بنفسه ، الدنمركى ينطلق فى غير تعقل إلى ساقى الزائر أو ركبته ، كما لو كان واثقًا من إثارته للإعجاب ، مشاغب كطفل أبله ، كفتاة ماجنة ، مشاكس أحيانا ، وقح كخادم ، سحقا ، ولا سيما لتلك الثعابين ذوات الأرجل الأربعة ، المرتعدة العاطلة ، المسماة بالكلاب السلوقية ، والتى لا تسكن فى أنوفها المدببة حاسة الشم بما يكفى لاتباع آثار خطوات صديق ، ولا فى رؤوسها المسطحة من الذكاء ما يكفى لتلعب الدمينو .

إلى بيت الكلاب كل هذه الطفيليات المرهقة !

فلتعد إلى بيتها الحريرى المبطن ! إنى أعنى الكلب الملطخ بالوحل ، الكلب المسكين ، الكلب الذى بلا مسكن ، الكلب المتسكع ، الكلب المهرج، الكلب الذى تشحذ الضرورة غريزته على نحو معجز كما تشحذ غريزة الفقير والبوهيمى والممثل الهزلى . الضرورة ، تلك الأم بالغة الطيبة ، الراعية الحقيقية للذكاء .

إنى أعنى الكلاب التى دهمتها الفجيعة ، سواء أكانت تلك التى تتجول وحيدة عند مصبات المياه المنحدرة فى المدن الهائلة ، أم تلك التى كانت تقول بعيونها الطارفة الذكية للرجل المنعزل : « خذنى معك ، ومن بؤسينا معًا قد نصنع نوعًا من السعادة ! »

« أين تذهب الكلاب ؟ » .

تساءل قديما نستور روكيبلان فى إحدى مقالاته الصحفية الخالدة التى قد نُسِيتْ بلا ريب ، ولم يذكرها أحد إلا أنا وحدى ، وربما سانت بيف ، حتى يومنا هذا .

أين تذهب الكلاب ؟ تتساءلون أيها الرجال قليلو الانتباه ؟ إنها تذهب لشئونها .

موعد لشئونها ، وموعد للحب ، عبر الضباب ، عبر الثلج ، عبر الوحل ، تحت القيظ الحارق ، تحت المطر المتدفق ، تذهب ، وتجىء ، وتعدو ، وتمر تحت العربات ، تثيرها البراغيث والشهوة ، والحاجة أو الواجب ، مثلنا تصحو فى الصباح الباكر وتبحث عن رزقها ، أوتجرى إلى لذاتها .

منها ما ينام فى خِرْبةٍ فى الضاحية ، ومن يحضر كل يوم فى ساعة محددة ، يطلب الهبة عند باب مطبخ فى الباليه رويال ، وأخرى تسارع فى جماعات إلى أكثر من خمسة فراسخ لتقتسم الوجبة التى يعدّها إحسان بعض العذارى الستينيات ، ليست قلوبهن مشغولة فتوهب للحيوانات ، لأن الرجال البلهاء لم يعودوا يريدونها .

وأخرى ، مثل الكستناء السوداء ، خبلها الحب ، تهجر منطقتها فى أيام معينة ، لتحضر إلى المدينة ، تتقافز ، خلال ساعة ، حول كلبة حسناء ، تهمل زينتها قليلا ، ولكنها فخورة ، ومعترفة بالجميل .

وهى جميعا منضبطة تماما ، دون بطاقات ، ولا دفاتر مواعيد ولا محافظ أوراق .

هل تعرفون البلجيكية الكسول ؟ وهل تعجبون مثلى بتلك الكلاب القوية المشدودة إلى عربة الجزار ، وعربة اللبان أو عربة الخباز ، والتى تدل بنباحها المنتصر على السعادة المزهوة التى تشعر بها ، وهى تنافس الخيول ؟

ها هما اثنان منها ينتسبان إلى نظام ما زال أكثر تحضراً ، اسمحوا لى أن أدخلكم إلى غرفة مهرج غائب : سرير من خشب مدهون، بدون ستائر ، أغطية مفروشة ومتسخة بالبق ، ومقعدان من القش ، وموقد من الحديد المسبوك ، آلة أو آلتان موسيقيتان خربتان ، آه يا للأمتعة الحزينة ، ولكن انظروا أرجوكم إلى هاتين الشخصيتين الذكيتين يرتديان ملابس متهدلة وباذخة فى الوقت نفسه بقصة شعر كالشعراء الجوّالين ، أو العسكريين الذين يراقبون بانتباه السحرة عملا بلا اسم ينضج بهدوء على الموقد المشتعل ، وفى وسطه مغرفة طويلة تنتصب مزروعة كأنها سارية هوائية ، تعلن أن البناء قد انتهى .

أليس عدلاً أن هؤلاء الممثلين الهزليين ، بالغى الحماسة لا يشرعون فى السير بدون أن يثقلوا معداتهم بحساء قوى ودسم ؟ وهلا تسمحون بقليل من الحسية لهؤلاء الشياطين الفقراء الذين يواجهون طوال اليوم عدم اكتراث الجمهور وإهانات المدير الذى يأخذ لنفسه القسم الأكبر ويتناول وحده من الحساء أكثر من أربعة ممثلين ؟

كم من مرة تأملت مبتسما ومشفقا كل هؤلاء الفلاسفة ذوى الأرجل الأربعة ، العبيد المتساهلين الخاضعين ، أو المخلصين ، الذين كان يمكن للقاموس الجمهورى أن يصفهم جيداً بأنهم مستخدمون شبه رسميين ، إذا كانت الجمهورية تهتم كثيراً بسعادة البشر ، وكان لديها الوقت لتصون شرف الكلاب .

كم من مرة فكرت أنه ربما توجد جهة ما (من يدرى بعد كل شيء ؟) لتكافئ هذا القدر من الشجاعة ، وهذا القدر من الصبر ، وهذا القدر من الجهد ، فردوس خاص للكلاب الطيبة ، الكلاب المسكينة ، الكلاب الملطخة بالوحل والحزينة ، إن سويدنبرج يؤكد تماما أن هناك واحداً للترك وواحداً للهولنديين .

كان رعاة فيرجيل وثيوقريط ينتظرون ثمنا لأغانيهم المتبادلة ، جبنا جيدا ، مزمارا من أجود صانع ، أو عنزة منتفخة الضروع ، وقد تلقى الشاعر الذى تغنى بالكلاب صدارا جميلا بوصفه مكافأة ذا لون غنى وحائل فى الوقت نفسه ، جعله يفكر فى شموس الخريف ، وفى جمال النساء الناضجات ، وفى أصياف جزيرة سان مارتان .

ولن ينسى أحد من أولئك الذين كانوا حاضرين فى حانة شارع فيلا هيرموزا بأى توثب خلع الرسام صداره لصالح الشاعر ، إلى هذا الحد قد فهم جيدا كم كان طيبا وأمينا فى غنائه للكلاب المسكينة .

وكذلك منح طاغية إيطالى عظيم فى العصور القديمة لآريتان المقدس إما خنجرا مطعما بالأحجار الكريمة ، أو معطفا للبلاط ، فى مقابل سوناتة قيمة أو قصيدة ساخرة عجيبة .

وفى كل المرات التى لبس فيها الشاعر صدار الرسام كان يتعين عليه أن يفكر فى الكلاب الطيبة ، والكلاب الفلاسفة ، وفى أصياف سان مارتان ، وفى جمال النساء الناضجات تماماً !

مختتم *

Epilogue

القلب راضٍ ، فلقد صعدت الجبل
حيث يمكن تأمل المدينة فى اتساعها
المستشفى ، والمبغى ، والمطهر ، والجحيم ، والسجن

حيث تتفتح الفحشاء كلها كما تتفتح الزهرة
تعرف جيدا أيها الشيطان ، يا راعى محنتى
أنى لم أذهب إلى هناك لأسفح دمعة سدى

ولكن كعاشق فاسق قديم لعشيقة عجوز
كنت أود أن أسكر من الغانية الهائلة
التى يعيدنى سحرها الجهنمى إلى الشباب دونما انتهاء

وسواء أكنت تنامين حتى الآن فى ملاءات الصباح
ثقيلة ، غامضة ، مزكومة أم تختالين كبرا

* آخر قصيدة موزونة مقفاة كتبها بودلير .

فى أوشحة المساء المزينة بالذهب الخالص

فإنى أحبك أيتها العاصمة سيئة السمعة !

أيتها المحظيات ، أيها اللصوص ، هكذا غالبا ما تقدمون الملذات

التى لا يفهمها الدنيويون المبتذلون !

مقدمة المحقق *

دخل بودلير هذه القصائد النثرية كما يدخل غابة مجهولة عذراء ، تقريبا ، مليئة بالأشراك والمخاوف والأخطار ، بقدر ما هى خلابة ، فإذا كان ينقصه أن تكون الأخطار مرئية ومحددة ، فإن الشاعر لم يسقط فى حيرة ، بل على العكس ، تسلح ليهزمها ويتغلب عليها - لأن فشله ، دون شك ، فى التعرف عليها بوضوح تام أحاطه علما بوجودها .

وربما لم يلاحظ القارئ لصالون ١٨٥٩ هذا التأمل على حدة ملقى فى مقال له عن لوحة : « خطيرة مثل الشعر النثرى » ، ولم يكن حتى إرهاصًا بمشروع العمل ، بل على العكس ، فقد مرت سنتان على الأقل كانت فيهما خطة قصيدة النثر ، على قدر العمل إجمالا قد تحققت وأخذت صيغتها (حتى لو سلّم المرء بأن بودلير لم يعُد أوليات هذه القصائد إلا تدريبات منفصلة) وإذن ، يعرف المرء فيم يفكر الشاعر ، وفى ما إذا كان قد شعر بالحاجة إلى التفكير هكذا بصوت عال : ربما ليعطى نفسه إشارة ، وربما ليطمئن نفسه بخصوص بعض القراء الذين قد يستمعون إليه بالصدفة ، وهو حتى يكررها : « خطيرة كالحرية المطلقة » وتجد الكلمة صدى فيما قيل عن القصائد النثرية ، إنها كانت « بداية مطلقة » (١) .

* المحقق إيف فلورين : كاتب مسرحى ، له عدد من الأعمال المسرحية : فارس الذهب ، ودم الأرض ، وأنتيجون . اقتبس مسرحيات عن شكسبير ، وكتب بعض الروايات والقصص القصيرة ، ولأنه المحرر الأدبى لجريدة « الموند » فقد نشر عددا كبيرا من الدراسات النقدية، وخاصة عن بودلير ، وحقق أعماله الكاملة التى صدرت عام ١٩٧٢ عن المكتبة الفرنسية العامة . سلسلة « كتاب الجيب » .

(١) إشارة إلى ما قاله جورج بلان G. Blin ، فى مقدمة أحد كتبه من أن « سأم باريس » كان بداية مطلقة ، وليس تقليدا لألوزيوس لبيرتيران .

ويتجاوب مع كلمة بودلير نفسها عن « التصوير المطلق » ، فهل يكون « الشعر الخارق » لأنه ثمرة الحرية المطلقة هو أيضا الشعر المطلق ؟

ولكن هذه المطلقات جميعا لها نسبيتها ، وبادئ ذى بدء ، ما الحرية المطلقة ؟ إذا كانت هى الحرية فى ألا يستخرج قواعده إلا من ذاته ، فهى حرية جيدة لشاعر النثر .

وهذا هو بالضبط الخطر الأساسى الذى لاحظه ، إنه فقط فى نوع من التنوير الدائم والمعصومية من الخطأ فيما ينبغى الإيمان به « ولكن التنوير الدائم والمعصومية من الخطأ هما الشعر نفسه ، بعد كل شىء » من أن هذه القواعد ستجد مصدرها ، أو بالأحرى ، هذه القاعدة بالمعنى المتقشف ، مسيطرة ، خفية ، غير معبر عنها ، وذات صرامة هى نفسها « مطلقة » .

جاءت هذه القاعدة من ذاتها ، وليس إلا من ذاتها ، لا يعرفها أحد مقدما ، ولا يتعرف عليها أحد بالتالى ، وهذا هو كل الشعر المستنكر ، لا يهم حقا ، ما دام يكفى أنه موجود ، ولكن بناء على ما تقدم ، وفى كل خطوة من مسعاه الذى لا يعتمد على شىء ، ألن يكون الشاعر ممزقا بالشكوك ؟ بقدر التجارب والمرض ، ونضوب الموهبة الخالقة ، هذا التمزق الذى يجعل من كتابة قصائد النثر نوعا من الجلجلة [1] .

لقد تكونت هذه القصائد عند بودلير بوصفها أشباها لأزهار الشر ، بهذه الكلمة التى يكررها بإلحاح ، يعبر عن خطته على نحو طبيعى ، عن فكرته فى قياس جمالى ، ولا ينبغى أن نخطئ فى ما يمكن أن

(١) كلمة عبرية تعنى المحنة أو عذاب الصلب ، وهى اسم الجبل الذى صلب عليه السيد المسيح .

تعمله لنا هذه الأشباه Pendants أعلى قليلا من البندول ، فلا نرى فيها ما رآه سانت - بيف فى عمياه العمق أمام بودلير ، إذا رأى فيها (« كُشكًا » ثانيًا أضيف إلى الأول على حافة كامتشاتكا[١] رومانسية) وليس حتى سرادقين من فن الباروك ، أو جناحين فى صرح ليس له جسم مركزى ، من جهة أخرى ، إن فكرة التناسق Symetrie هى فكرة سطحية ، إذ يوجد تحتها فكرة التوازن ، وفكرة المعارضة ، وإذا شئنا فكرة الثورة ، وبعلاقة (هذا الديوان) بأزهار الشر فهو ثورة كاملة ، انقلاب كامل ، « أفكار جديدة » ، « رعشة جديدة » [٢] ، مشاعر جديدة فى نظام قديم : ذلك هو أزهار الشر .

وفى اللحظة نفسها التى ينجز فيها كتابه ، يريد الشاعر أن يفتح طريقا آخر غير مكتشف ، ويعطى للتعبير الشعرى شكلا جديدا ، أو بالأحرى ، يبتكر شعراً آخر ، يقوم فيه مع ذلك بتجربة « التراسل » مع نفسه ، باسترجاعه موضوعاته العظيمة فى طريقة غير مألوفة ، ممتزجة بتجسيده لنغمات تتسلط عليه فى توافق الحروف الصائتة ، أو الكلمات محذوفة الحروف فى نشاز قاس .

وعن خطته ، يشرح نفسه بوضوح ، متظاهرا بتقليل أهمية مزية التنفيذ خصوصا ، وحتى مزية الابتكار عندما يتحدث عنهما إلى الآخرين ، بتواضع طقوسى من مقدمات وإهداءات ، وكذلك بعاطفة أكثر حدة ، وأكثر إيلاما ، حيث يختلط الشك بالفخر المشروع ، وهكذا بعد تقديم نفسه بوصفه مقلدا ، وحتى معارضا ، يسلم بكونه « هو نفسه » .

(١) شبه جزيرة بركانية فى أقصى شرق روسيا بين بحر بهرنج وبحر أوكتسك .
(٢) إشارة إلى الرسالة التى بعث بها فيكتور هوجو إلى بودلير فى أكتوبر ١٨٥٩ يقول فيها : « إنك أحدثت فى الشعر الفرنسى رعشة جديدة » .

هــو نفســه ، بمعنى أنه شــاعـر « أزهار الشـر » يســعى إلى لغـة أخـرى ، وأنه من هذه « الهـو نفسـه » الأولى يسـافـر نحـو الانطلاق إلى الأخرى التى هـى مـرئية بعين الحدس والرغبة ، أكثر مما هـى معروفة من قبل ومحددة ، والأشباه التى تتراءى له أكثر ، هى بوضوح تلك القصائد التى فـيـهـا أعـيدت كـتابة قصـائد من أزهار الشـر ، فى لغـة هذا النثـر الفريد ، والتى تعاد بعناوينها وألحانها الدالة Leitmotivs بينمـا تسـرى فيها المفارقة ، لأنه إذا كـانت « نصـف العـالـم فى جـديلة » هـى إجابة (للشَعـر) ويبســطُ لحلقـاتهـا الواسـعـة فى آيات ، فـإن « الدعـوة إلى الرحيل » تقدم ما لا يعرف المرء من خفاء مقلد ، أو ساخر ، وتهم عنيف للنعيم ، حتى تلك القصـة العاطفية عن الحبيبة ، من الواضح أنها جاءت إلى بودليـر من جوته ، ولكن حيث يدير لنا أسطوانة بموسـيقا أمـبرواز تومـاس ، وعلاوة على ذلك ، فإن الأشباه ، عندما تصبح أقل وضـوحا ، تصبح أكثر تميزا .

إن أخطار هذا النثر الشعرى ، ولو أنه كان على علم بها ، (ليس دون معرفة ، على كل حال ، بأن هذه القصـائد النثرية كانت شيئا آخر غيـر النثـر الشـعرى الذى هو ليس جـديدا على الإطلاق) فـإن بودليـر بالتـأكيد لم يسلم منـها دائـما ، والقـارئ يشـعـر أن هذه القـصـائد هى قصـائد لا أكثـر ولا أقل ، وتبـدو لنا القصـائد « الخـالصـة » هـى الأكـثـر جـمـالا ، أو هـى تقـريبـا خـالصـة ، لأن بودليـر فى تقـدمـه فى « العـمليـة السـحـرية » يعـدُّ جـرعـاتٍ رائعـة ، حيث يلمع النثـر - النثر على نحـو عدوانى ، وغالبا ما يعطى هجومٍ العبارة نغمتـها : « غـرفة تشبه حلم اليـقظة » - « دعـينـى أتنفس طـويلا طويلا رائحـة شـعـرك » - « يسـقط النهـار ويتنزل سكون عـمـيق .. » - « ترهق الشـمس المدينة بضـوئهـا المستقيم والمرعب » - هـا هو ذا فى القصـائد الخـالصة ، حيث النثر غنى ومتـعدد ، يتبع إيقاعا محسـوسا، موزعا أحيانا فى « آيات » متسـاوية ،

كمقاطع شعرية ، وهو يصل حتى إلى إيقاع شعرى منظوم (نادرا جدا لأن الشاعر حذر) على البحر الإسكندرى ، مستثنى من القاعدة ومنطلق :

Resplendir L'infini de l'azur tropical

تتلألأ لا نهائية اللازورد الاستوائى

بل إلى نظم خفيف طليق ، شديد التأنق :

Elle est bien laide
Elle est delicieuse pourtant

إنها بالغة القبح ، وهى لذيذة مع ذلك

أو هذا « فى الرغبة فى الرسم » الذى كان يذكر المرء طواعية بأزهار الشر .

Ettoutce qu'elle inspire
est nocturne et profond

وكل ما تلهمه ليلىٌّ وعميق

ولكن ، أهى « خالصة » هذه القصائد ؟ - دون شك ، لأنها تشبه القصائد المنظومة كثيرا ، ومن هنا أصابها عدم النقاء ، ولأنها كان يمكن أن تتخذ أشكالها النثرية مؤقتا حتى توضع فى نظم ، وهذا خطر ضمن أخطار أخرى أدركها بودلير بسرعة ، وأشار إليه حتى لا يغامر أحد بالوقوع فيه ، وفى الواقع ، إذا كانت أربع قصائد من « الأزهار » لها أشباه فى « السأم » فإن ثلاثًا من هذه لواحق لتلك بالتأكيد : إذن قد كان ينبغى الحديث ، على العكس تماما ، عن قصائد « فُكَّ عنها النظم » ولكم الخطر دون شك لا يكون أخف ، سينزع الشاعر نفسه منها ، فليس ينبغى عليه

البقاء فى السفن القديمة ، لتستوعب نبيذه المر ، فإن جهد تحطيمها وشحنها ، والعمل ، أمور مفهومة ، وأحيانا تكون كثيرة شيئا ما ، وحتى لا يغامر بمعاودة السقوط فى الأوزان التى كان دائما يقيس بها إلهامه ، يبحث عن تكسيرها ، فيسقط فى الهفوة التى عانى ألم مغامرتها فى أزهار الشر ، وأخيراً فإن الحروف الصائتة والجناس الاستهلالى يميزان بإلحاح الصفة الشعرية لهذا النثر ، وهنا أيضا تكون الهجمة كاشفة ، ولكنها تعطى النغمة المضادة : « ينظر الصينيون إلى الساعة فى عيون القطط » هكذا تبدأ قصيدة « ساعة الحائط » كخيال مسكر مستمد من كتاب « الإمبراطورية الصينية » للأب « هول » فيما يتعلق بالشارع والفنان ، ولكنها تنتهى بغزلية متطاولة ، والقصيدة فى داخلها .

« يقول فيفينارج » هذا مطلع متكلف ومتعالم[1] قليلاً ، ومع ذلك فقصيدة « الأرامل » واحدة من أكثر قصائد الديوان جمالا ، بعد قطعة « العجائز القصيرة » الجديدة ، فإن المرأة العظيمة الحزينة والرائعة فى نهاية القصيدة ، هى لوحة ديلاكروا « الأرملة العظيمة المكتئبة أمام حديقة ميزار » ولكن القصيدة ليست كلها حول فكرتها .

وكثيرا ما يحدث أيضا أن يكون الهجوم متعمدا فى نثر : نثر الصحافة المتدفق ، نثر المؤتمر والمحادثة : « لم أخجل مطلقا حتى أمام الكتاب الشبان فى عصرى من إعجابى بـ (بوفون) » أو « صحفى محب للبشر .. » إلخ .. أو نثر القصة فى « استراحة للرجال .. » أو « كان فانسيول مهرجاً جديراً بالإعجاب » بل هو نثر عن طيب خاطر وبسيط تقريبا : « عندما كنا نبتعد عن متجر تبغ .. » أو « حقا ،

(١) كان الناقد لم يسمع بالتناص .

ياعزيزتي ، إنك ترهقينني .. » ، والمفتاح هنا مثلما هو في القصائد « الخاصة » يفتح القطعة تماما ، كانت هذه القصائد ، أو لم تكن إلا مسرحيات أخلاقية أو مسرحيات المغفلين[1] Sotties أو أحيانا : موت بطولي - أيهما الحقيقية ؟ - هي قصص غير عادية[2] وأخيرا الصواريخ مفارقة « فقدان الهالة » - أليست هي خجل الهلوسة التي يمكن ملاحظتها في « صواريخ » ؟ - أو مقتطفات من اعتراف كفلتات مع اختلاجات « قلبي[3] عاريا » واستحوذا فكرة العواصم الكبرى على فكرة بكثرة ، وتمجيده للآخرين المألوفين لدينا ، ولكنه تناولهم بدقة غريبة وفي أسلوب مهذب رهيف ، وكذلك الآنسة بيستوري ، وعلى نحو أكثر تلميحا وعلى شكل أمثولة ، صناعة سكاكين الشيطان - إيروس في الغوايات هي إقرار بالقسوة ، صريح أيضا ودون أي تزيين جمالي ، وهذا هو الوجه الآخر المقلق « لعملية الحب الجراحية » و «تمزق الحب » مدفوعا به إلى درجة التحليل والتشريح ، و « الوحش البرىء » حلم الدم ، بينما « أنا » الضحية والجلاد والشاهد يداعبة دون أن يعترف له برغبة قطع رأسه كما في قصيدة « شهيدة » .

هذه التعرية للذات التي كان يمكن أن تكون في هذه القصائد ، الأكثر اكتمالا ، والأكثر عمقا ، مزدوجة ، ومفهومة جيدا ، وطوعية ، ولكنها لا واعية أيضا .

(١) نوع من المسرحيات القصيرة الهزلية ، تتخذ من الأحداث والشخصيات السياسة والدينية المعاصرة موضوعا لها ، ويلبس فيها الممثلون أزياء مثيرة للضحك كالقبعة الصغيرة والبدلة القصيرة والأجراس المثبتة في الأرجل .

(٢) ترجم بودلير قصصا لإدجار ألان بو تحت عنوان « قصص غير عادية » ونشرها في جزأين .

(٣) في أوراق بودلير التي خلفها بعد موته ، وجدت مسودات لكتابين هما : صواريخ ، وقلبي عاريا .

إن « سأم باريس » – على كل حال – يتميز بعلامة الازدواج وكان يمكن أن يمثل لعيوننا مع « أزهار الشر » الغرفة المزدوجة للشاعر ، ولكن هذا سيكون تزييفاً للحقيقة التى هى فى حد ذاتها مزدوجة بتبسيطها ، هنا غرفة الحقيقة ، وهناك غرفة أحلام اليقظة ، الغرفة الروحية ، لا بالطبع ، لأن « سأم باريس » وحده ، غرفة مزدوجة ، فالعنوان الأول الذى كان بودلير قد أعطاه للقصيدة الثامنة والعشرين « المثال والواقع »[1] أكثر توضيحا ، ولكن هذا الواقع هو « فوق واقعى » سيريالى ، فالواقع فى الغرفة المزدوجة واقع الحياة التى لاتطاق أو واقع الزمن القبيح ، هو واقع شبحى ، فبين جنة الحلم والكابوس لايوجد شىء والمدينة والحياة – حيث يتحرك هذا المتجول الليلى – حلمان يمر فيهما هو نفسه كظل لايراه الآخرون ، وهو ينظر إليهم عند عبوره .

وهذه الرحلات التى يقوم بها على نحو غامض إلى بلاد غامضة هى أكثر من مجرد رحلات خيالية كالشخصيات التى يقابلها المرء هناك ، والمغامرات التى تجدها « الأنا» هناك ، هى مثل « الأنا » نفسها ، لها كل صفات الحلم .

لعله لايوجد فى الإنتاج البودليرى ، ما هو أكثر من « سأم باريس » فى عدم خضوعه للمسلمة المزدوجة « الله – الشيطان » فى هذه الحركة الدائمة بين السامى والوضيع ، ومن أجل اقتسام منتصف الليل حيث تجد الروح وحدة غريبة فى التنازع بين الخير والشر ، وكذلك يكون « سأم باريس » كله مخترقاً بما لا يجرؤ المرء على تسميته بالترددات بين الأطراف البعيدة لكونها متزامنة ، فالعزلة « لاتشفى » أمام إغواءات الجمهور الإنسانى ومحاولات الإحسان فالمرأة جحيم ، والمرأة فردوس .

(١) عنوانها الحالى : العملة الزائفة .

ومن بين كل الموضوعات البودليرية التى تعود للظهور هنا وتتقاطع ، واحد من أكثرها كشفا ، إنه موضوع الزجاج ، وهو فاصل فى الوقت نفسه لجانب ، وفاتحة لجانب آخر ، فحين يكون الزجاج سحريا يكون بائع الزجاج قد عرف كيف يضع الزجاج الملون .

وهذا تزويد بوهم الواقع أقل منه تحويلا له لخلق واقع آخر ، ولكن الغرفة المزدوجة ليس لها نوافذ ، إنها تفرز ضوءها الخاص ، إنها غرفة المرايا ، ألا تكفيها مرآتان لتفتح لا متناهيا مزدوجا ؟ ينتصر فيه « العبد الشهيد للزمن » على جلاده فى ميناء ساعة الحائط « إنها الأبدية ! »

هناك إجابتان على الأقل للأسئلة التى تطرحها القصائد الليلية ، فالروح التى صمتت طويلا ، وقد دعيت للرحيل من مناخ إلى مناخ ، تصرخ أخيراً « لايهم أين ، خارج العالم » فهذا المكان حقا هو الغرفة المزدوجة ، ولكن المعبودة الفريدة التى تجلس على عرشها تكرر بلا انتهاء مع لهب الشموع وجهها المتكاثر من مرآة على مرآة ، إنها تخلع قناعها اللحمى أخيراِ ، وتظهر فى عريها الكامل ، إنها فقط :

« كل شىء فانٍ ما عدا الموت ! »

إيف فلورين

الفهرس



المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ – الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسي التدعيمي	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعي .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	ت : حسين محمود

العنوان	المؤلف	المترجم
٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيميئوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ - حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيڤال	ريشارد ڤاجنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث — كارلوس فوينتس — ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء — ميجيل دى ليبس — ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة — تانكريد دورست — ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية) — إنريكى أندرسون إمبرت — ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس — عاطف فضول — ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية — روبرت ج. ليتمان — ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) — فرنان برودل — ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى — نخبة من الكُتاب — ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة — فيولين فانويك — ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت — فيل سليتر — ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر — نخبة من الشعراء — ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى — جى أتيال وآلان وأوديت ڤيرمو — ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين — النظامى الكنوجى — ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢) — فرنان برودل — ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية — ديفيد هوكس — ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة — بول إيرليش — ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى — اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا — ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة — يوحنا الأسيوى — ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١ — جوردون مارشال — ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور) — چان لاكوتير — ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب — أ . ن أفانا سيفا — ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل — يشعياهو ليڤمان — ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور — رابندرانات طاغور — ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة — مجموعة من المؤلفين — ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية — مجموعة من المبدعين — ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق — ميغيل دليبيس — ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد — فرانك بيجو — ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس — مختارات — ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال — ولتر ت . ستيس — ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء — ايليس كاشمور — ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية — لورينزو فيلشس — ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية — توم تيتنبرج — ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف — هنرى ترويا — ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث — نخبة من الشعراء — ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب — أيسوب — ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد — إسماعيل فصيح — ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى — فنسنت . ب . ليتش — ت : محمد يحيى

العنوان	المؤلف	المترجم
١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علَوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو – أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رابوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتزر	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروجان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الچينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوربيديس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديڤيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربي — روجر آلان — ت : نخبة من المترجمين

٢٩٤ – فن الشعر — بوالو — ت : رجاء ياقوت صالح

٢٩٥ – سلطان الأسطورة — جوزيف كامبل — ت : بدر الدين حب الله الديب

٢٩٦ – مكبث — وليم شكسبير — ت : محمد مصطفى بدوى

٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسريانية — ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى — ت : ماجدة محمد أنور

٢٩٨ – مأساة العبيد — أبو بكر تفاوابليوه — ت : مصطفى حجازى السيد

٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية — جين ل. ماركس — ت : هاشم أحمد فؤاد

٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١ — لويس عوض — ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين

٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢ — لويس عوض — ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى

٣٠٢ – فنجنشتين — جون هيتون وجودى جروفز — ت : إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣ – بـوذا — جين هوب وبورن فان لون — ت : إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٤ – ماركس — ريـوس — ت : إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٥ – الجلد — كروزيو مالابارته — ت : صلاح عبد الصبور

٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ — چان – فرانسوا ليوتار — ت : نبيل سعد

٣٠٧ – الشعور — ديفيد بابينو — ت : محمود محمد أحمد

٣٠٨ – علم الوراثة — ستيف جونز — ت : ممدوح عبد المنعم أحمد

٣٠٩ – الذهن والمخ — انجوس چيلاتى — ت : جمال الجزيرى

٣١٠ – يونج — ناجى هيد — ت : محيى الدين محمد حسن

٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى — كولنجوود — ت : فاطمة إسماعيل

٣١٢ – روح الشعب الأسود — وليم دى بويز — ت : أسعد حليم

٣١٣ – أمثال فلسطينية — خابير بيان — ت : عبد الله الجعيدى

٣١٤ – الفن كعدم — جينس مينيك — ت : هويدا السباعى

٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى — ميشيل بروندينو — ت :كاميليا صبحى

٣١٦ – محاكمة سقراط — آ. ف. ستون — ت : نسيم مجلى

٣١٧ – بلا غد — شير لايموفا – زنيكين — ت : أشرف الصباغ

٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة — نخبة — ت : أشرف الصباغ

٣١٩ – صور دريدا — جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس — ت : حسام نايل

٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج — مؤلف مجهول — ت : محمد علاء الدين منصور

٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢ — ليفى برو فنسال — ت : نخبة من المترجمين

٣٢٢ – التأريخ الغربى للفن الحديث — ديليوجين كلينباور — ت : خالد مفلح حمزة

٣٢٣ – فن الساتورا — تراث يونانى قديم — ت : هانم سليمان

٣٢٤ – اللعب بالنار — أشرف أسدى — ت : محمود سلامة علاوى

٣٢٥ – عالم الآثار — فيليب بوسان — ت : كرستين يوسف

٣٢٦ – المعرفة والمصلحة — جورجين هابرماس — ت : حسن صقر

٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة — نخبة — ت : توفيق على منصور

٣٢٨ – يوسف وزليخة — نور الدين عبد الرحمن بن أحمد — ت : عبد العزيز بقوش

٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد — تد هيوز — ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت — مارفن شبرد — ت : سامى صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين — ستيفن جراى — ت : سامية دياب
٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى — نخبة — ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ – الإسلام فى بريطانيا — نبيل مطر — ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل — أرثر س. كلارك — ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ – عصر الشك — ناتالى ساروت — ت : فتحى العشرى
٣٣٦ – متون الأهرام — نصوص قديمة — ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء — جوزايا رويس — ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند — نخبة — ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٣ — على أصغر حكمت — ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب فى الشرق الأوسط — بيرش بيربيروجلو — ت : فخرى لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه — راينر ماريا رلكه — ت : حسن حلمى
٣٤٢ – سلامان وأبسال — نور الدين عبد الرحمن بن أحمد — ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازى الزائل — نادين جورديمر — ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت فى الشمس — بيتر بلانجوه — ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن — بونه ندائى — ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر — رشاد رشدى — ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ – الصبية الطائشون — جان كوكتو — ت : بكر الحلو
٣٤٨ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١ — محمد فؤاد كوبريلى — ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة — أرثر والدرون وآخرين — ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية — أقلام مختلفة — ت : عطية شحاتة
٣٥١ – مبادئ المنطق — جوزايا رويس — ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ – قصائد من كفافيس — قسطنطين كفافيس — ت : نعيم عطية
٣٥٣ – الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية) — باسيليو بابون مالدونالد — ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ – الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية) — باسيليو بابون مالدونالد — ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ – التيارات السياسية فى إيران — حجت مرتضى — ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ – الميراث المر — بول سالم — ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ – متون هيرميس — نصوص قديمة — ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية — نخبة — ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ – محاورات بارمنيدس — أفلاطون — ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة — أندريه جاكوب ونويلا باركان — ت : ليلى الشربينى
٣٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة — آلان جرينجر — ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ – تلميذ بابنبرج — هاينرش شبورال — ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقى — ريتشارد جيبسون — ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ – حداثة شكسبير — إسماعيل سراج الدين — ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ – سأم باريس — شارل بودلير — ت : محمد أحمد حمد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٥٨٧ / ٢٠٠٢

شارل بودلير



سأم باريس

تتألق حرية مطلقة فى قصائد بودلير النثرية ؛ فالقواعد التى يتبعها هى القواعد الداخلية فقط . إن حساسيته البالغة تقود عبقريته إلى حساسية الفرح عند طفل فقير يلعب بفأر ، إلى حزن الأرامل ، إلى معاناة رجال يسحقهم وحشهم الخرافى ، إلى وجد العاشق غير المقدر . وثمة قاعدة أخرى هى الإشراق ؛ ففى عين امرأة يرى بودلير الأبدية ، وتظهر له الجنيات وتعطيه منحة الإعجاب ، ويظهر له الشيطان وإيروس أيضا ؛ ويقول ،. « إن هذه الحياة مستشفى ، كل مريض فيها ممسوس بالرغبة فى تغيير سريره» ، وينبغ الرحيل «لا يهم أين ، على أن يكون ذلك خارج العالم !»

